جامعة عبد الرحمان ميرة_ بجاية

كلية الآداب اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

الوعي الطبقي في رواية نهاية رجل شجاع ل"حنا مينه"

مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين

جباري صبيحة

عمارة كهينة

اشراف الأستاذ

الهادي بوديب

السنة الدراسية2017 /2018

إهداء

بكل صبر و شوق انتظرت هذا اليوم المميز يوم تخرجي و إدخال الفرحة إلى قلب اعز مخلوقين في هذا الوجود أمي الغالية أطال الله في عمرها أبي الحنون حفظه الله.

كما أهدي هذه الثمرة إلى إخوتي الأعزاء

يوسف، سمير، و مهني الذين صبروا معي كثيرا

أختي الحبيبة رحيمة و بناتها أمينة و يسرى.

إلى فرحة أيامي و سند حياتي.

صبيحة

إهداء

بسم الله و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين أما بعد أهدي ثمرة هذا المجهود الى أعز ما في الوجود صاحبة الكرم و الجود إلى أغلى نعمة أنعم بها الله إلى أعز ما يمتلكه الفرد و يفتخر بامتلاكه من كرست حياتها لخدمتي و سهرت على راحتي وسعادتي و سعيت دوما وراء نجاحي أمي الكريمة و الغالية حفظها الله و أطال في عمرها.

و الى أبي الغالي الذي كان سندي عماد حياتي مصدر أماني تاج رأسي لولاه، لما وصلت لهذا اليوم.

إلى إخوتي: منال و حياة و صورية وسيم و سامية و نصيرة و سليمة و إلى ابنة عمي دهية و إلى صبيحة رفيقة دربي.

كهينة

مقدمة

يعتبر الوعي الطبقي من أهم المواضيع المدروسة من قبل الفلاسفة و علماء الاجتماع، كونه يوحي إلى تشكل الوعي داخل الطبقات الاجتماعية، و تتكون الطبقات الاجتماعية بفعل تطور وعي الإنسان داخل المجتمع و تأثير الصراعات الطبقية سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، على وعي الإنسان و توجيه تفكيره.

و لمدى أهمية هذا الموضوع فقد تطرق علماء الاجتماع و الفلاسفة لدراسته و تبيين مدى أهميته و مدى تأثيره على مر التاريخ، فنجد منهم المفكر ' كارل ماركس ' الذي قدم عدة تصورات و أفكار حول الوعي و كذا الظروف المشكلة للطبقات الاجتماعية.

و كذا الفيلسوف ' هيجل ' الذي تعرض إلى موضوع الوعي و ربطه بالمثالية، و من بين المفكرين أيضا ' جورج لوكانش ' الذي له الفضل الكبير في عرض موضوع الوعي الطبقي، و تمييزه وفق صراع الطبقات الاجتماعية و من نواحي مختلفة.

إضافة إلى الفيلسوف ' سيجموند فرويد ' تطرق إلى موضوع الوعي من الجانب النفسي، وحلله وفق المنظور النفسي.

عالج هؤلاء العلماء والفلاسفة موضوع الوعي كل وفق تصوره و حججه المقنعة، و قد ساهمت هذه الدراسات في شرح موضوع الوعي و ربطه بالطبقات الاجتماعية، والصراعات الاقتصادية الناتجة عن وعي كل طبقة بمصالحها.

و لأهمية هذا الموضوع تطرقنا في هذا البحث إلى عرض موضوع الوعي الطبقي، لما يحمله من تحليل و تبيين و توضيح لأهم الطبقات الاجتماعية المسيطرة على وعي الإنسان، فأردنا أن نوضح مفهوم الوعي و الطبقة و كيف جسد الكتاب و الروائيين هذا الوعي في رواياتهم.

و قد اخترنا خطة مدروسة بدأناها بمقدمة، و قسمنا البحث إلى فصلين:

الفصل الأول تطرقنا فيه إلى الوعي الطبقي و الرواية و قسمناه إلى مبحثين حيث الأول يتضمن مفهوم الوعي و يحتوي على المبحث على عناصر فيه المفهوم اللغوي والاصطلاحي للوعي و كذا مفهومه من الناحية الفلسفية و النفسية و الاجتماعية. أما المبحث الثاني عرضنا فيه الوعي و الطبقة حيث قدمنا الدلالة الاجتماعية و السياسية والتاريخية للطبقة و هذا في العنصر الأول، أما في العنصر الثاني فتطرقنا إلى حضور الوعي الطبقي في الرواية.

أما بالنسبة للفصل الثاني فهو الجانب التطبيقي للوعي الطبقي في رواية ' نهاية رجل شجاع ' لـ: ' حنا مينه ' أنموذجا، أين قمنا فيه بعرض ملخص للرواية و كذا تحليل العنوان إضافة إلى تحديد الشخصيات و تقديمها و حصيلة وعيها الطبقي، و ذلك انطلاقا من السرد الواقعي الذي قدمته الرواية على المستوى الفني و الجمالي.

و للوصول إلى معرفة الوعي الطبقي، اعتمدنا مقاربة، تجمع بين التحليل الخطابي من جهة و التحليل الموضوعاتي من جهة أخرى.

و لإثراء دراستنا اعتمدنا على مجموعة من المراجع التي كانت المنطلق و الأساس في بحثنا حول هذا الموضوع، و نذكر منها:

- التاريخ و الوعي الطبقي لجورج لوكانش.
- الفلسفة السياسية عند هيجل لـ إمام عبد الفتاح إمام.
- الطبقات الاجتماعية لـ بيار لاروك.

إضافة إلى مجموعة من المراجع المهمة منها المترجمة أيضا كانت من اختيارنا لكونها تتضمن أفكار و معاني تخدم موضوع بحثنا، و قد لاقتنا في مسيرتنا في إنجاز بحثنا بعض

الصعوبات و استحضار المصادر المتعلقة بالموضوع و لكنها لم تكن السبب في إعاقة مواصلة بحثنا، و بفضل الله تعالى و عونه، و كذا الأستاذ المشرف و نصائحه الدائمة، وتوجيهاته المرشدة لنا في جميع تفاصيل بحثنا و أدقها، استطعنا و الحمد لله المواصلة والتوصل إلى هذا المنجز النقدي.

الفصل الأول

الوعي الطبقي و الرواية

الفصل الأول

الوعي الطبقي و الرواية

أولا: مفهوم الوعي:

1- لغة.

2- اصطلاحا.

3- الوعي فلسفيا.

4- الوعي نفسيا.

5- الوعي اجتماعيا.

ثانيا: الوعي والطبقة:

1- مفهوم الطبقة.

2- الدلالة الاجتماعية للطبقة.

3- الدلالة السياسية للطبقة.

4- الدلالة التاريخية للطبقة.

5- حضور الوعي الطبقي في الرواية.

أولا: مفهوم الوعي:

1/لغة:

يحمل الوعي في القاموس اللغوي معنى " حفظ القلب الشيء، وعي الشيء والحديث يعيه وعيا و أوعاه: حفظه و فهمه و قبله، فهو واع، و فلان أوعى من فلان أي أحفظ وأفهم، و في الحديث: نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها"[1].

و يعرف مصطلح الوعي في المعاجم اللغوية و الأدبية على النحو التالي: " وعي، concience،maximum، مراهنة على وعي يرتبط باللحظة التاريخية، و يستهدف بلوغ أقصي درجات فهم الواقع و تجاوز إعاقاته، انطلاقا من جدلية تاريخية لعلاقة البنيات السفلى بالبنيات العليا"[2].

من خلال هذا التعريف يتضح أن الوعي مرتبط بالتاريخ و الإحداث الآنية و هذا لفهم و تفسير الواقع، و الوعي في المحصلة هو عميلة إدراكية ذاتيا و جماعيا.

2/اصطلاحا:

لا يوجد تعريف متفق عليه بين الأوساط الأكاديمية لمصطلح الوعي فهناك من يرى أن الوعي " هو الإدراك أو صفوة الفكر أو العقل، و الوعي في اصطلاح علم الاجتماع، هو

---

1 ابن منظور، لسان العرب، مجلد 15، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2005، ص 462.

2 أحمد جاريد الفنان ,المعجم الموحد لمصطلحات الأداب المعاصرة، د.ط، مكتب التنسيق و التعريب، الرباط، 2015، ص 100.

أدراك الفرد لنفسه و للبيئة المحيطة به، و قيل إدراك المرء لذاته و لما يحيط به إدراكا مباشرا و من ثم بعد الوعي أساس كل معرفة "[1].

و يتضح من هذا التعريف، أن هناك عناصر مكونة لمفهوم الوعي، و تتمثل في إدراك المرء لما يحيط به، إدراكا مباشرا، و إدراكه لنفسه، و اندماجه مع الآخرين، كما يعتبر البعض الوعي مسؤولية و التزام بالقيم.

3/الوعي فلسفيا:

يتشكل الوعي في خطاب الفلسفة حسب طبقة النشاط الفلسفي و إشكاليته، و يمكن تحديد الوعي فلسفيا من خلال أطروحتين أساسيتين، أو من منظور الفلسفة المثالية، التي عبر عنها الفيلسوف " هيجل " حيث تقوم فلسفته على اعتبار الوعي سابقا للمادة، و أن هناك حقائق مطلقة في هذا الكون، و يعمل العقل البشري بكل من المادة و الوعي ضمن علاقة مركبة حيث يرى هيجل أن الفكر هو الأساس الذي يتحدد استنادا إليه العالم، و في هذا الصدد يقصد بالعالم ذلك الجوهر المطلق.

و بالتالي يكون هنا الذكر هو الجوهر المكون للأشياء و منه يؤكد، أن الوعي هو نتيجة للتطور السابق لجوهر أولي مطلق، والوعي أساسا هو وعي الإنسان بذاته، فيقوم بالمقارنة بين الإنسان و أشياء الطبيعة، فالأشياء الطبيعية هي غريزية و فطرية لدي الإنسان، إلا أنه يتفوق عليها لكونه يوجد من أجل ذاته، ما يفيد أنه قادر على التفكير والوعي بذاته و بالعالم، حيث يرى هيجل " يحول هيجل قوى التباين الذاتي، و الوعي الذاتي إلى صفات الجوهر، و المفارقة، أو التناقض (paradoxical) عند هيجل هي أن وعي الله هو وعي

[1] عمر صالح بن عمر، مفهوم الوعي و التوعية و أهميتها، منشورات كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، د.س، ص 38.

الله بذاته مركزا على نفس الأساس الذي قامت عليه مفارقة "اسبينوزا" الامتداد والمادة صفة الجوهر، المادة هي الماهية الإلهية"[1].

إذ يربط هيجل مفهوم الوعي بالروح الإلهية، و جوهر الله و عزله عن الواقع، فوعي الإنسان هو الجوهر الذي يميزه عن باقي الكائنات الأخرى، إذ يصاحب سلوكه و أفكاره في جميع مراحل حياته.

و من الناحية الثانية نجد التصور الفلسفي الثاني، و هو الفكر المادي حول موضوع الوعي، نجد المفكر " كارل ماركس " ينطلق من الأعمال البشر الواقعية كي يحدد وعيهم، فيذهب إلى إعطاء مفهوم للوعي كما جاء في أحد أقواله " و ها هنا تزول التصورات النظرية، ففي الحياة الحقيقة يبدأ العلم الحقيقي الإيجابي و تحليل العمل التطبيقي، و مجرى الحياة العادية للبشر، تزول الجمل الخاوية فيما يخص الوعي إذ يجب تعويضها بعلم حقيقي، فبدراسة الواقع تفقد الفلسفة الوسط الذي تعيش فيه بصفة مستقلة"[2].

و هنا يبين أن الوعي يتشكل انطلاقا من حياة الإنسان العملية و أعماله التطبيقية، ما يؤدي إلى زوال التصورات الفلسفية الأخرى، ما يعني أن الوعي تحدده شروط اجتماعية رجوعا إلى الواقع، و بالتالي فإن تصوراتنا و أفكارنا هي انعكاسات لوضعنا الاجتماعي.

و يؤكد " ماركس " أن التاريخ و ما فيه من أحداث تؤثر على وعي الفرد، فيساهم في بناء وعيه و توجيهه فلا يمكن للوعي أن يشكل الأحداث التاريخية و التاريخ عامة بقدر ما

[1] فريال حسن خليفة، نقد فلسفة هيجل، دار قباد للطباعة، د.ط، القاهرة، 1998، ص 113-114.

[2] رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، و تقديم جابر عصفور، دار الفكر للدراسات و النشر، ط.1,القاهرة، 1991، ص 49.

يشكل التاريخ وعي الفرد، و هذا ما ورد في قوله " إن التعبير ليس فعلا إيراديا صرفا، وأن الوعي لا يصنع التاريخ إلا بمقدار ما يصنع التاريخ الوعي[1] ".

و هذا ما يفيد أن الأحداث و الوقائع التي يعيشها الفرد، تؤثر أساسا في عملية الوعي عنده و إدراكه للأشياء، إذ يتشكل الوعي لدى الإنسان استنادا إلى الواقع و التاريخ، كما يرى ماركس و في مفاد قوله أن حركة الفكر هي انعكاس لحركة الواقع، بما يعني أن فكر ووعي الإنسان إنما هو نتيجة للقضايا الواقعية فلا يمكن أن تأتيه تصورات و أفكار خارج الواقع.

إن مكانة الفرد في المجتمع، و مدى إثباته لذاته داخل هذا المجتمع هو الذي يبين مدى وعي هذا الفرد، بل هو الذي يتحكم فيه و يحدده إذ يرى كارل ماركس أن " فإنه ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل على العكس من ذلك، الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم"[2].

إذ تساهم الظروف الاجتماعية و كيفية التعامل الفرد داخل المجتمع مع غيرهم في تحديد وعيه و التأثير فيه فهو لا يفكر و لا يدرك مدركات خارجية بل إن فكره مرتبط تماما بالواقع الاجتماعي.

[1] عطية مسوح، الماركسية و أسئلة العصر، دار الينابيع، ط1، دمشق، 1999، ص 43.

[2] رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، المرجع السابق، ص 49.

4/الوعي نفسيا:

يعد " سيجموند فرويد " هو أول من أطلق مفهوم اللاوعي على كل التصورات والرغبات التي يكبتها الأفراد نتيجة لتعارضها مع المنظور الأخلاقي و الاجتماعي، أما الوعي عكس اللاوعي فهو يعبر عن إدراك الفرد لتصرفاته و سلوكه و عملياته النفسية والعقلية " و هو تعامل مع التحول الاجتماعي يرجع بجذوره إلى أعمال سجموند فرويد، الذي كان يرى أن السلوك الإنساني مدفوع بالدوافع و الرغبات غير واعية، و برغبات جنسية على وجه الخصوص، ويرى أن النمو البشري الطبيعي يرتبط ببناء البناءات السيكولوجية (الأنا والأنا الأعلى) التي تتيح للناس التعامل مع دوافعهم غير الواعية و التفاعل بصورة طبيعية مع الآخرين " [1].

رغم التضاد بين الوعي و اللاوعي عند الإنسان، إلا أنهما مرتبطان بشدة حاجات الإنسان و أحلامه، فالوعي الذي يمثل الشعور و اليقظة بالنسبة للإنسان، ينفذ فعليا أحلام اللاوعي المكبوتة لدى الفرد، و يتم ذلك من خلال تحقيق الأحلام و الأهداف، التي نتمناها و نفكر بها دائما في اللاوعي، فتلاحقها في الوعي لتصبح حقيقة نعيشها، بغض النظر عن الأحداث و الخبرات التي يكسبها الفرد، خلال ممارسته للحياة، فهي مخزنة إما في الوعي فيستخدمها بشكل يومي مخبئة في اللاوعي.

[1] جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، دار الشبكة العربية للأبحاث و النشر، ط.1, لبنان، د.س، ص 426.

و من المؤكد أن الوعي أساسا مرتبط بالذات الإنسانية بحيث أن " وعي الذات بحريتها هو الذي ينبهها لوجودها الشخصي، فضلا عن وجود الذات يرتبط بوعي الذات بنفسها بوصفها ذات موجودة في العالم [1]" و بوعي الذات لنفسها و إدراكها لحريتها ومسؤوليتها لذاتها تؤكد وجودها في هذا العالم و تثبت حضورها، فالوعي ينطلق من الذات إلى العالم الخارجي.

و في رأي فرويد فاللاشعور هو الأساس الحقيقي للحياة النفسية، و يدعو في هذا الصدد إلى عدم المبالغة في تقدير أهمية الشعور لأن نطاقه محدود، و عاجز عن تفسير كل أفعال الإنسان و تصرفاته، بحيث يرى " اللاوعي عند فرويد، اللاشعور أو اللاوعي حسب مدرسة التحليل النفسي هو أهم منطقة سيكولوجيا تستطيع بموجبها أن نفهم سلوكاتنا، سواء منها السوية أو الشاذة، و من هذا المنطلق نستطيع أن نقول أن الشخصية في تصور فرويد بمثابة جبل الجليد أي أن ما هو خفي أضخم بكثير مما يظهر"[2].

فقد قدمت فرضية اللاشعور أفكارا و توضيحات نجحت في تفسير الكثير من أنواع السلوك الإنساني و ساهمت في علاج الكثير من الأمراض النفسية المستعصية على الطب العادي.

الوعي مرتبط بالانتباه ويمر على مستويات الذهن ليصل إلى العالم الخارجي بحيث " يدل الوعي على منطقة الانتباه الذهني التي تبدئ من منطقة ما قبل الوعي، و تمر بمستويات الذهن، و تصعد حتى تصل إلى أعلى مستوى من الذهن فتشمله، و هو مستوى التفكير الذهني و الاتصال بالآخرين[3] ".

---

[1] صفاء عبد السلام جعفر، الذات الحقيقية عند كارل ياسبرز، دار الوفاء، د.ط، مصر، 2001، ص 88.

[2] سجموند فرويد، مدخل إلى التحليل النفسي، دار الطلبة، ط1، لبنان، 1980، ص 77.

[3] روبيرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، تراِ, محمود الربيعي، دار غريب، د.ط، مصر، 2000، ص 23.

فإذن فالوعي مرتبط بالأفكار الخفية تحته، و تمر على الذهن لفحصها و ترجمتها إلى واقع . للوعي صلة مباشرة بالعقل و الحواس، فهو مرتبط بالمخلوقات الحية و العاقلة بعكس اللاوعي الذي هو مرتبط بالكائنات الحية سواء عاقلة أم لا، " و يفصل بين الحيوان و الإنسان من خلال الوعي بالحواس الخمسة، لكونهما يتصفان بالحياة و القدرة على التنفس، و هي الميزة التي يشترك فيها النوعان، إلا أن الصفة الفضلى التي تميز بين الوعي و اللاوعي هي العقل[1] ".

و هذا ما يثبت أن هناك علاقة بين الوعي و اللاوعي غير أن ما يفارق بينهما هو العقل و هو الميزة التي ميزه الله عز و جل عن باقي المخلوقات.

كما أن هناك من يرى أن عند غياب فكرة عن بال الإنسان في حالة الوعي، فهذا لا يعني فقدانها بشكل نهائي، بل تكون مفصولة لفترة زمنية عن وعيه، و هذا ما يحيلها تدخل إلى نطاق اللاوعي، إلا أن هذه الفكرة تعود فيما بعد عن طريق اللاوعي، فيكون الإنسان في حالة نسيان لها غير أنه بمؤثرات خارجية تستهدف اللاوعي يقوم باسترجاعها واستحضارها.

كما يمكن للفرد أن ينسى أمور فلا يعيها في الوقت الراهن غير أنه يمكن أن تأتيه على شكل أحلام أو رموز تشير إليها في الأحلام، " أما الأحلام فهي عبارة عن لغة اللاوعي، و هي رموز للوقائع و الأحداث التي لا تظهر بشكل واقعي، و يمكن أن تظهر المشاعر و الأفكار على هيئة رموز في الأحلام [2]".

[1] جورج تتوري، دراسات موضحة عن الإنسان في مادة الفلسفة العامة، دار الفرابي، ط1، بيروت، د.س، ص 45.

[2] بتول قاسم ناصر، القانون المطلق، دار الفرابي، ط1، بيروت، 2011، ص 268.

و هذا ما يعني أن مظهر اللاوعي لأي فكرة يظهر على شكل رموز و هي الأحلام، إذ تعبر عن أمور محددة قد تحدث مستقبلا، و هذا ما يعني أنها مصدر لمعلومات صحيحة أحيانا.

كان ' سيجموند فرويد ' من الأوائل الذي حاولوا تجريبيا استكشاف خلفية اللاوعي المؤدية إلى الوعي، فانطلق من الأحلام كمادة أولى " و اعتمد على فرضية أن الأحلام مرتبطة بالوعي، و هي لا تحدث بمحض الصدفة، كما تنطلق الأحلام من عملية التداعي الحر، و هي طريقة استكشفها سجموند فرويد لعلاج المرضى النفسيين، فهنا اكتشف أمور كثيرة لدى المرضى[1] ".

وهنا اكتشف سجموند فرويد أهمية اللاوعي في تخزين أمور كثيرة و أفكار خرجت من قطاع الوعي، فاسترجعها عن طريق عملية التداعي الحر و الاهتمام بالأحلام لدى المرضى.

فكان له الفضل في علاج المرضى النفسيين و مساعدتهم في استرجاع أفكارهم ومكبوتاتهم، فحسب رأي سيجموند فرويد حول الوعي فيظهر أنه ما هو إلا مظهر سطحي لحياتنا النفسية، أو دائرة صغيرة لا يمكن تفسير حقيقتها إلا بالرجوع إلى منطقة أو دائرة أكبر و هي اللاشعور، فوراء كل سلوك دوافع لاشعورية تغيب عن المرء أحيانا حقيقة ذلك السلوك ،فقد قدم فرويد أهمية كبيرة للاشعور حيث أنه يضيء جوانب مهمة في حياة الإنسان الغامضة.

إلا أنه لا يمكن التسليم الجازم بهذا الرأي، بأن للوعي الأهمية الكبرى في تصرفاتنا وسلوكاتنا و أنه هو المؤثر الأكبر في ذلك، لأن اللاوعي يعد كلحظات فتور تخزن أفكار فقدها الوعي، فهذا لا يعني أن الإنسان الذي فقد أفكارا في وعيه أنه لا يستطيع مواصلة

[1] الطيب بوعزة، الإنسان بوصفه حيوان، الجزيرة نت، د.ط، السعودية، 2016، ص 90.

حياته عاديا بل على العكس من ذلك عند ذهاب تلك الأفكار من المحتمل أن تأتيه أفكار أحسن و تنفعه أكثر، فالأفكار في اللاوعي يسترجعها الإنسان عن طريق الوعي.

5/الوعي اجتماعيا:

يعد الوعي الاجتماعي خطوة مهمة في تطوير الذات، و خلق الإنسان المبدع، وبالتالي يتكون جراء ذلك الإنسان الواعي الذي يساهم في بناء المجتمع، و كذا يسعى جاهدا إلى التغيير و التطوير في ذلك المجتمع، إذ يمكن حصر الوعي الاجتماعي في إدراك المشكلات المختلفة، التي تواجهها المجتمعات في فترة زمنية معينة، تحت ظروف وضغوطات محددة أدت إلى تشكيل الوعي من خلال البحث عن الحلول و الخروج من تلك الأزمات.

و هنا يتبين أن الوعي و الفكر الإنساني يتحكم فيهما الظروف الاجتماعية بشكل مباشر، حيث يقول كارل ماركس: " النشاط الاجتماعي و العقل الاجتماعي يتحددان بشكل واضح بوصفهما اجتماعيين، و لذلك فإن النشاط و العقل لا يخرجان إلى حيز الوجود إلا من خلال علاقة حقيقية بالآخرين، و هما يتحققان حيث يقوم هذا التعبير الاجتماعي المباشر على أساس طبيعة النشاط، أو يتطابق مع طبيعة العقل حتى حينما أقوم بإعداد عملي العلمي هذا ... بل إن وجودي ذاته هو عمل اجتماعي و لهذا السبب فإن ما أنتجه من أجل المجتمع، و أنا واع بتصرفي بوصفي كائنا اجتماعيا[1] ".

و هنا يتضح أن الوعي يتحقق داخل المجتمع، بحيث أن هناك محفزات اجتماعية، تدفع بالفكر و العقل إلى إدراك و استيعاب أمور غامضة،فيكون الفرد داخل المجتمع مندمجا، إذ أن كل تصرفاته ناتجة عن وعي انبثق من المجتمع، فمن المستحيل ممارسة هذه التطورات في أفكاره و أعماله خارج نطاق المجتمع فالوعي نتيجة اجتماعية و تمارس هذه النتيجة داخل

[1] محمود عودة، تاريخ علم الاجتماع،دار النهضة العربية، ط1، لبنان، د.س، ص 132 – 133.

المجتمع، و وجود الإنسان بنفسه هو نتيجة عمل اجتماعي فأعمال الإنسان و تصرفاته هي مؤطرة داخل المجتمع.

كما أن كارل ماركس يؤكد أن علم الاجتماع مرتبط بمختلف العلوم الإنسانية، و هذا ما يؤكد أن الوعي الإنساني عامة في مختلف الميادين، مرتبط بالمجتمع و جميع النتائج المتحصل عليها في مختلف المعارف.إنما يعود أصلها إلى المجتمع فالإشكاليات تأتي من المجتمع، و كذا حلولها تأتي من المجتمع، و هذا ما أتى في قول ماركس " يجب على علم الاجتماع أن يقوم بمهمة إثبات الطابع الإنساني للمجتمع، و ذلك باعتباره حلقة اتصال بين مختلف العلوم سواء الطبيعية منها أو المعنية مباشرة بدراسة الإنسان[1] ".

و يتضح من هذا القول أن علم الاجتماع له علاقة و ارتباط مع جميع العلوم الإنسانية الأخرى و لا يمكن فصله عنها، إذ أنها تعبر بشكل أساسي عن ميولات ومشكلات الفرد داخل مجتمعه، و يساهم المجتمع و ما فيه في تطوير وعي الإنسان وبلورته، فالمؤثرات الاجتماعية التي يصادفها الفرد في حياته اليومية تؤثر في الفرد، وتحفز عملية الإدراك و الوعي عنده، إذ أن الفرد لا يمكن تطوير وعيه بمعزل عن المجتمع.

و هذا ما أكده ماركس بحيث أن نشأة المجتمع و تطوره كان نتيجة للتفاعل الإنتاجي المستمر بين البشر و الطبيعة، و يضيف أن التغير الاجتماعي ليس نتاجا للقوى الشخصية العمياء و إنما هو نتيجة لالتقاء الإرادات و الأفعال البشرية، و هو بهذا يؤكد على أن التطور الاجتماعي له صلة بالأحداث التاريخية، التي تحكمها قوانين ليست مستقلة عن الإرادة و الوعي و الذكاء البشري.

[1] صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع،دار المعرفة، ط.1، مصر، 1996، ص 186.

و يؤكد ماركس على أن " ليس وعي الناس الذي يحدد وجودهم بل على العكس وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم[1] "، بمعنى مكافحة الفرد في المجتمع و الطبقة التي ينتمي إليها هي التي تبين و تعكس مدى وعيه، فوجوده في تلك المرتبة إنما هي نتيجة لوعيه و إدراكه و اقتناعه بها، فالوعي لا يحدد منزلة الفرد بل وجوده و وصوله إلى تلك المرتبة هي التي تحدد وعيه.

فالوعي إذن عند ماركس، هو ما يميز و يتفوق به الإنسان عن الحيوان، و هذا الوعي يبدأ بمجرد أن يبدأ الإنسان في إنتاج وسائل العيش، تلك الوسائل التي تتحدد بداية بظروف الطبيعة و إمكاناتها، و عليه عندما يتتبع الناس هذه الوسائل يبدعون في إنتاج حياتهم المادية و كيفية التفكير، فالوعي هو نتيجة التفاعل بين أنفسنا و عالمنا المادي المحيط بنا.

و لذلك فالوعي أيضا يأتي نتيجة التطور التاريخي و الاجتماعي للفرد، والإنسانية كما يقول ماركس تتأسس بواسطة العالم المادي، و الذي فقط من خلال انخراطنا فيه نستطيع ممارسة قوتنا و يتم تأكيد واقعنا، و هذا بفرض نفسنا في المجتمع، فهو منقسم إلى طبقات بحيث يسيطر القوي أي الطبقة الحاكمة و البرجوازية على الضعيف و هي الطبقة الكادحة، و العاملة، فعلى الطبقة العاملة أن تكون واعية بحقوقها و فرض نفسها لأنها الفئة الأكثر نشاطا في المجتمع و بالمقابل على الطبقة الحاكمة لوسائل الإنتاج، أن ترحم وتستوعب مطالب الطبقة العاملة.

ثانيا: الوعي و الطبقة:

يندرج تحت الطبقة مفهومات و مدلولات عدة، منها الدلالة الاجتماعية، السياسية والتاريخية، و كل مفهوم للطبقة يساهم في تشكيلها ظروف و أسباب، سواء من الناحية

[1] رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، المرجع السابق، ص 49.

الاجتماعية أو المادية أو الإيديولوجية، و يساهم في تشكيل الطبقات وعي الأفراد من المنظور الاجتماعي أو المادي للأشياء، فيخلق هذا الوعي تصورات و أفكار لديهم تتماشى مع متطلباتهم و رغبتهم في التغيير نحو الأفضل.

1/مفهوم الطبقة:

اختلف مفهوم الطبقة، باختلاف الحضارات و الأمم التي تشكلت فيها " فالطبقة في اللغة العربية هي القوم المتشابهون في سن أو عهد، و هي الحال، و المرتبة، و الدرجة، والطبقة هي الطائفة، و هي عند الهنود جماعة مغلقة، أساسها الوراثة أو الأولاد، و لها ملاد مدني أو سياسي خاص، و كل جماعة من الناس تغلق الباب على نفسها فهي جماعة طبقية، و الفرق بين نظام (régime des castes) في الهند و نظام الطبقات الاجتماعية (classes sociales) في الأمم الحديثة أن طبقات البراهمة تتضمن تميزا دينيا، و إن انغلاقها على نفسها أشد من انغلاق الطبقات الاجتماعية، و أن لها كيانا شرعيا، على حين أن الطبقات الاجتماعية ليست كذلك لأن الفرد قد يرقى فيها من منزلة إلى أخرى، و لأن القوانين المدنية و السياسية تهدف إلى تحقيق المساواة بين جميع أفراد الشعب، و يطلق لفظ الطبقة الكادحة (prolétariat) على الأفراد العاملين الذي يكسبون رزقهم بعرق جبينهم[1] ".

و هذا ما يوضح اختلاف مفهوم باختلاف الأجناس و الحضارات عبر الزمن، ويساهم في تشكيلها مجموعة عوامل منها السياسية و الاجتماعية و الدينية، و تسعى كل طبقة و ما فيها من أفراد إلى توفير الأمن و الاستقرار لهذه الفئة، أي أن تشكيل مفهوم الطبقة هو حصيلة اقتصادية و ثقافية و اجتماعية و سياسية.

[1]جميل صليبا، المعجم الفلسفي(بألفاظ العربية الفرنسية، الانكليزية و اللاتينية)، ج2، من (ط) إلى (ي)، دار الكتاب اللبناني، من (ط) إلى (ي)، بيروت,ص 12

2/ الدلالة الاجتماعية للطبقة:

يعد المجتمع تلك الجماعة من الأفراد و الأسر التي تربطهم علاقات متعددة، تجمع بينهم عادات و تقاليد يحترمونها و كذا مبادئ و أسس يمشون عليها، مؤطرين داخل قانون موحد ينظم شؤونهم فهو إذن " مجموعة من الأفراد تربطهم أو تجمعهم صلات معينة أو طرق من السلوك تميزهم عن أفراد آخرين لا تشملهم أو تربطهم هذه الصلات أو يختلفون عن سلوكهم، و لكل مجتمع له عاداته و تقاليده، و الأوضاع الاجتماعية تختلف من بلد إلى آخر[1] " .

و في داخل هذا المجتمع يهتم الدارسين بعلم الاجتماع و حل و فك الأزمات الاجتماعية التي تواجهها كل طبقة في داخل المجتمع، كون المجتمع مقسم دائما إلى طبقات متعددة حسب كل دولة، و حسب المفكرين تتحدد الطبقات الاجتماعية بعلاقات الإنتاج و وسائلها، بحيث يعرفها كارل ماركس على أنها " تجمعات بشرية كبرى تتميز عن سواها بمكانتها في نظام تاريخي محدد للإنتاج و بعلاقاتها بوسائل الإنتاج و بكيفيتها في الحصول على حصتها من الثروة الاجتماعية [2] ".

و يفهم أن الطبقات عبارة عن تجمعات بشرية تكونت عبر مسار تاريخي نضالي محاولة لبقائها تجمعها روابط مشتركة، و هي الثروة الاجتماعية فتختلف الثروة من طبقة إلى أخرى حسب قوتها و ملكيتها لوسائل الإنتاج، فالطبقة الحاكمة و البرجوازية تملك وسائل الإنتاج و لها الحصة الأكبر من مواد و مداخيل الإنتاج، بعكس الطبقة البروليتاريا أو العاملة

[1] عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، المرجع السابق، ص 40.

[2] جان بيار كوت، جا بيار موني، من أجل علم اجتماع سياسي، ترا. محمد هناء، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط, الجزائر، 1985، ص 107.

التي لها حصة قليلة من الدخل من الإنتاج، فيرتبط مفهوم الطبقات من الناحية الاجتماعية بالإنتاج و ملكية الوسائل.

فماركس يرى أن " تحديد الطبقات الاجتماعية يعود إلى أسلوب الإنتاج المسيطر في الشبكة الاجتماعية، فالطبقات الاجتماعية، و إن كانت نشأ تاريخيا في إطار البنية الاقتصادية إلا أنها ظواهر سياسية و إيديولوجية في نفس الوقت، فأسلوب الإنتاج هو الذي يحدد الشروط الاقتصادية و ذلك لظهور طبقة معينة[1] ".

فرغم تعلق نشأة الطبقات بالظروف التاريخية و الاقتصادية خاصة إلا أن هناك تأثير سياسي و إيديولوجي، يلعب دور في نشأتها فالسياسة تؤثر بشكل كبير على الاقتصاد وتسيير شؤون الإنتاج و ذلك بفرض قوانين و ضرائب تؤثر على العمال و المجتمع فتتحدد الطبقات بتحديد الفروق الاجتماعية لكل طبقة و مدى اكتسابها لوسائل الإنتاج.

و هذا أيضا يضيف ماركس " إن الطبقات في أي مجتمع يحددها امتلاك أو عدم امتلاك وسائل الإنتاج، و أن هذه العلاقات القائمة على الملكية تشكل أساس العلاقات الطبقية الرأسمالية و العمالية، و من هنا فإن العلاقات الطبقية هي في الواقع علاقات للملكية و العمل، وتوجد الطبقات في كل المجتمعات التي يوجد فيها إطار قانوني لعلاقات الملكية[2] ".

و هذا ما يؤكد أن لوسائل الإنتاج دور أساسي في تحديد و وضع فروق بين الطبقات، إذ أن مالكي الوسائل لهم السلطة و القوة و النفوذ في المجتمع و يمثلون الطبقة البرجوازية الحاكمة في حين يمثل العمال العاديين الذين لا يملكون وسائل الإنتاج الطبقة الكادحة و العاملة و الفقيرة أين تفقد السلطة و تكون دائما خاضعة للطبقة العليا البرجوازية، و هذه

[1] نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، دار الأمة، ط.1، الجزائر، 2010، ص 366.

[2] جون سكوت، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، المرجع السابق، ص 254.

الفروق أيضا إضافة إلى وسائل الإنتاج في تحديدها نجد أيضا السياسة لها دور مهم في ذلك أين تؤطر العلاقات بشكل قانوني.

مما سبق ذكره يتضح أن هناك داخل المجتمع طبقتين رئيسيتين ساهم في تشكيلهما عوامل سياسية اقتصادية و كذا تاريخية تمثل الطبقة الأولى تلك الطبقة البرجوازية " ونعني بها الطبقة الرأسمالية المعاصرين، مالكي وسائل الإنتاج الاجتماعي الذين يستخدمون العمل المأجور و نعني بالبلوريتاريا طبقة العمال الأجراء المعاصرين الذين لا يملكون أي وسائل الإنتاج[1] ".

بحيث تحوي الطبقة البرجوازية رجال الأعمال، و المالكين لوسائل الإنتاج ذو النفوذ والسلطة، في حين نجد الطبقة البلوريتاريا التي تمثل فئة العمال الأجراء العاديين الذين ينتسبون إلى العمال لدى الطبقة البرجوا زية...

يتشكل المجتمع في نظر المفكرين من طبقتين أساسيتين، و هذا حسب جورج لوكانش " إن البرجوازية و البلوريتاريا هما الطبقتان النقيتان الوحيدتان للمجتمع أعني أن وجود وتطور هاتين الطبقتين فقط يرتكزان بنوع خاص على تطور السير المعاصر للإنتاج[2] ".

و يتضح أن تشكل هاتين الطبقتين يعود أساسا إلى العلاقة التي تربطهما بالإنتاج وكيفية استغلال الطبقة البرجوازية لطبقة البروليتاريا، أين يحدث هناك صراع مصلحية بينهما، و كذل بروز وعي في كلتا الطبقتين خصوصا لدى الفئة العاملة " أن الوعي الطبقي هو أخلاقية البلوريتاريا، و أن الوحدة بين نظريتها و ممارستها هي النقطة التي تتحول فيها الضرورة الاقتصادية لصراعها المحوري إلى حرية بطريقة جدلية، و في اللحظة التي يعرف

[1] ماركس أنجلس، بيان الحزب الشيوعي،دار التقدم، د.ط، موسكو، د.س، ص 30.

[2] جورج لوكانش، التاريخ و الوعي الطبقي، ترا. منى الشاعر، دار الأندلس، ط.2، لبنان، 1982، ص 60.

فيها الحزب بأنه صيغة تاريخية و حامل فقال للوعي الطبقي، فيصبح بذات اللحظة حامل أخلاقية البروليتاريا في الصراع[1] ".

فالوعي الذي تولد لدى الطبقة البروليتاريا هو أخلاقي ناتج عن الظروف القاهرة والمعاناة التي تتلقاها من طرف طبقة البرجوازية و كذا الجدل القائم بين هاتين الطبقتين في اختلاف المصالح بينهما فالأولى تحاول استغلال الطبقة العاملة و استحواذها على وسائل الإنتاج، و الثانية تحاول التحرر من هذا الوضع و فك القيود عنها.

كما يؤكد ماركس في هذا الصدد أن الصراع الطبقي هو الحل الوحيد لتقدم الطبقات و المجتمعات و تطورها " إذ يعتبر ماركس أن الطبقات هي نحور النظام الاجتماعي، أو مقياس التفرقة بين طبقة و أخرى يقوم على أساس الإنتاج، فهناك طبقة مستغِلة و طبقة مستغَلة، و الصراع لابد من هاتين الطبقتين و هو قوام حيوية و تقدم المجتمع... و يرجع ماركس قيام التناقض بين مصالح هاتين الطبقتين إلى نظام الإنتاج الحالي أصبح لا يتماشى مع نظام الملكية[2] ".

فعملية الإنتاج دائما هي الفارق الحاسم بين الطبقات إن تقوم الطبقة البرجوازية باستغلال أفراد الطبقة الكادحة و العاملة، و ينتج الصراع بينهما نسبة إلى اختلاف مصالحهما، و الشيء الإيجابي في هذا الصراع، هو التحفيز إلى تطوير و تقدم كل طبقة و ترفيه أفرادها بسبب الوعي الذي ينبثق منها.

تطور المجتمع من مجتمع اقتصادي إلى مجتمع برجوازي، و من أجل ذلك يحدد القوى الاجتماعية حالمة هذا التطور فالمجتمع البرجوازي يعتبر الطبقة العليا في المجتمع وأن

[1] المرجع نفسه، ص 45.

[2] عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، دار النهضة العربية، د.ط، لبنان، د.س، ص40.

التناقض الأساسي في المجتمع يعد تناقض بين البروليتاريا و الطبقة البرجوازية و هذا ما يؤدي إلى ثورة الاجتماعية.

و يعتبر المجتمع البرجوازي طبقة الغنية في حين يعبرها البعض بأنها " الطبقة البرجوازية هي سلب طبقة، إنما الطبقة القائمة على أنها أنقاضها والمضادة لها فهي التي تسيطر على أي مجتمع و طبقة البروليتاريا هي طبقة الحديثة و قد تشكلت نتيجة لحركة الإنتاج الصناعي و تعتبر نقيض لطبقة البرجوازية و أن البلوريتاريا لا تستطيع أن تحرر ذاتها إلا إذا حررت المجتمع ككل، و ذلك بإلغاء النظام الاجتماعي القائم إلغاء ملكية العامة[1] ".

من خلال ملاحظتنا لهذه المقولة نرى أن البلوريتاريا تهدف إلى تحرير المجتمع وتهدف إلى تغليب المصلحة العامة قبل كل شيء.

تعمل الطبقة البلوريتاريا إلى تحقيق الأفضل و إيجاد حلول لأي مجتمع، يعمل على إلغاء النظام البرجوازي و تسعى إلى تحقيق البديل، و تضع مبادئ المجتمع الجديد و كان شعارها لا طبقية و لا ملكية الخاصة و هي تعمل على إلغاء الملكية الخاصة، لأن الطبقة البلوريتاريا و الملكية الخاصة هما متناقضتان، البلوريتاريا تقوم على الملكية الجماعية والملكية الخاصة حرية الفرد في امتلاك وسائل الإنتاج دون تدخل أي سلطات فيه.

ويمكن تقسيم الطبقي للمجتمع وفقا لتقسيم العمل والتبعية المتبادلة، بين الناس و ذلك لتوفير حاجيات و تحقيق الربح، و قد حددها هيجل في ثلاث طبقات التي سوف نقدمها "الطبقة الزراعية أو الطبقة المالكة للأرض، و يسميها أيضا هيجل بالطبقة الجوهرية إنها الطبقة المالكة للروح السياسية مرتبطة عند هيجل بملكية الأرض و ما المالك إلى عرض لها لذلك يأتي حق هذه الطبقة في المشاركة في الدولة السياسية بالنشأة و الميلاد و ليس

[1] هربرت ماركيوز، العقل و الثورة، هيجل و نشأة النظرية الاجتماعية، ترا. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة لتأليف و النشر، د.ط، 1970، ص 304.

بالانتخاب، فالملكية الخاصة الوراثية، هي الركيزة الأولى في البناء الطبقي، كما تشكل الدعامة الأولى في وحدة.

الطبقة الكلية أو البيروقراطية، و تسميها بالكلية مستمر هن غايتها فهي الطبقة التي نذرت نفسها لخدمة الحكومة.

الطبقة الصناعية، و هي الطبقة التي تأتي وسائل عيشها من خلال العمل و التفكير و الذكاء، و هي تضم هيئات العمال و الحرفيين و التجار، و يبدوا وجه التمايز في هذا التقسيم أن الكلية الطبقة الزراعية تقوم في كليتها[1] ".

من خلال هذا القول نتوصل في اعتقادنا أن هيجل في تقسيمه هذا للطبقات الاجتماعية التي حددها في ثلاث طبقات، و كل واحدة منها لها دورها فمثلا الطبقة الزراعية هي الطبقة المالكة للأرض، و لهذه طبقة حق في مشاركة في الأمور المتعلقة في السياسة.

الطبقة الثانية فهي تقوم بخدمة الحكومة، أما الطبقة الثالثة فهي الطبقة التي تقوم بتوفير وسائل عيشها ذلك بالعمل و التفكير و هي التي تتكون من فئات العمال والحرفيين.

و نرى أن لكل طبقة دورها في تكوين المجتمع و ذلك بالاعتماد على ملكية الوسائل و حرية في الملكية دون تدخل أي جهة من الجهات سواء كانت الحكومة أو غيرها، فهي تعمل على تنظيم العلاقات بين الأفراد في المجتمع.

و من خلال الصراع الذي تواجه البلوريتاريا ضد البرجوازية يتضح وعينا الطبقي إذ يؤكد جورج لوكاش هذا في قوله " هكذا تتحدد الوظيفة الفريدة لوعي البلوريتاريا الطبقي,بالتضاد مع وظيفته لطبقات اخرى.انه انه تماما لان البروليتاريا لا تستطيع أن تتحرر كطبقة إلا بملاشاة مجتمع الطبقات عامة، و أن وعيها ,آخر وعي طبقي في تاريخ العالم, يجب أن

[1] فريال حسن الخليفة، نقد الفلسفة، هيجل، المرجع السابق، ص 244.

يتواءم من جهة مع الكشف عن جوهر المجتمع، و من ناحية أخرى، أن يصبح وحدة حميمية دائما بين النظرية و الممارسة .بالنسبة للبلوريتاريا، ليست إيديولوجيتها "راية" تقاتل تحتها، و حجة تحت غطائها تتبع أهدافها الخاصة إنها الهدف والسلاح ذاتهما[1] ".

و يمكن اعتبار كذلك أن الوعي الطبقي من خلال هذا القول أنه في مختلف من الدول العالم يجب أن يكون متوافقا و أن يتواءم من جهة مع الكشف عن جوهر المجتمع، و يمكن أن نقول أن البلوريتاريا أول طبقة في التاريخ أنها قد حققت وعيا طبقيا حقيقيا.

3/ الدلالة السياسية للطبقة:

يمكن أن تعرف الطبقة السياسية على أنها هي الطبقة التي تملك في يدها السلطة و هي التي تحكم المجتمع بقوانينها التي تضعها.

« فالسياسة هي حيز الطبقات التي قدر ما هي حيز الطوائف بل هي حيز الطبقات بامتياز، أي إعادة إنتاج التميز و الاستغلال لطبقتين، و البنية الطبقية للطبقة، تعتمد بالدرجة الأولى على الإنماء الاجتماعي للماسكين بالسلطة السياسية و اندماجهم و اهتمامهم المتزايد بعد الحرب بالطبقة المسيطرة اقتصاديا وتوجيههم للسياسات و القرارات في الحقلين الاقتصادي و الاجتماعي». [2]

و هذا ما يبرهن لنا أن الطبقة السياسية مرتبطة بالسلطة و صراع الطبقات الاقتصادية و الاجتماعية فتشكيلها، يرجع أساس للتناقض و وعي تلك الطبقات المتوسطة في المجتمع. و يمكن اعتبار كذالك أن الطبقات السياسية تتكون من الطبقة العليا التي تشمل الطبقة الحاكمة.

[1] جورج لوكاش، التاريخ و الوعي الطبقي، المرجع السابق، ص 69.

[2] بول طبر، الطبقات الاجتماعية و السلطة السياسية في لبنان، دار ساقي، د.ط، بيروت، د.س، ص 256.

" يوجد في كل مجتمع فئة من الأسر تقوم بدور القيادة في مختلف الميادين السياسية، و الإدارية والاقتصادية و الفنية و تشكل تلك الفئة الطبقية الاجتماعية إذا كانت متجانسة بما فيه الكفاية و مثقفة نسبيا.

و تعتبر الصفة المشتركة بين جميع أفراد هذه الزمرة بدور قيادي و الاسهام بنوع من أنواع التفوق و في كل مجتمع مراتب، قائمة في الواقع أو بالقانون تعتقد كلها انها ارتقت الى درجة تطور البلد كالمراتب السياسية و الاقتصادية والإدارية و العسكرية و الروحية و الثقافية والتقليدية.

و تتكون الطبقة الحاكمة من العناصر التي تشغل فهم الأنواع من المراتب و هي تشمل فيها السياسيين، و المواطنين المدنين و العسكريين و العناصر البارزة للمهن الحرة والفنانين و الكتاب الذين اعترف بمواهبهم، كما تشمل الحائزين على الثروات الهائلة، وأفراد الاسطوقراطيات التقليدية، ويمكن أن يشكل أولائك كالأقرباء و المساعدين».[1]

يتضح لنا أن الطبقة الحاكمة تلعب دورا فعالا اقتصاديا في المجتمع و هذا، بفضل السلطة التي تملكها إضافة إلى النفوذ التي يتمتع بها أرباب العمل و رجال المال. فهي دائما تسعى إلى توفير كل إمكانيات أفراد الشعب و توظيفهم و ذلك بالاعتماد على الوسائل.

" اكتشاف الأدوات و الوسائل الكفيلة بتحقيق نوع من الحكم يفضي إلى سعادة التي يحلم بها كل فرد من الأفراد المجتمع، سواء كان حاكما أو محكوما "[2].

[1] بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، منشورات عويدات، ط1، لبنان، 1973، ص 65.

[2] خليل حسين، فلسفة و الفكر السياسي في العصور القديمة الوسطى منشورات الحلبي الحقوقية، ط1، لبنان، 2011، ص 271.

نلاحظ أن الطبقة الحاكمة لها تأثير كبير في توفير إمكانيات الضرورية التي تحتاجها، الطبقات الأدنى منها مثل الطبقة العاملة، و المتوسطة و هذا أيضا ما نلاحظه في أي سلطة و وفقا للنظرية الماركسية فإن الطبقة الحاكمة تتكون من الرأسماليين والبرجوازيين، الذين لهم القدرة على استغلال الطبقة العاملة و السيطرة عليهم و هذا ما نلاحظه في مختلف الدول أن الطبقة الحاكمة هي السلطة العليا و هي التي تسيطر على كل شيء سواء في وسائل الإنتاج و تستغل العمال أبشع الاستغلال، لأنهم الأقوى سلطة من غيرهم.

يوجد الكثير من المفكرين و الفلاسفة قد تحدثوا عن هذا المجتمع.

" لقد عبر عن هذا المجتمع البرجوازي كثير من الفلاسفة الليبراليين الذين أسسوا المذهب الفردي في الفلسفة السياسية و دعموا أركانه على نحو ما فعل جون لوك الذي دافع دفاعا مجيدا عن حرية الأفراد و عن حقوقهم الخاصة لاسيما الملكية[1] ".

نلاحظ أن أغلب الفلاسفة دعموا هذا الاتجاه الرأسمالي الذي يدعو إلى حرية وسائل الإنتاج للفرد حرية الملكية لهذه الوسائل و نستنتج أن الطبقة الحاكمة لها نفوذ على الصعيد السياسي بحيث تسيطر على الأحزاب السياسية و تشكيلها و لها السلطة في وضع القوانين التي تحكم المجتمع وفقا لما يخدم مصالحها الخاصة.

و بالرغم من أن الطبقة الحاكمة تملك السلطة و القدرة الإنتاجية إلا أنها تستغل الطبقة العاملة و الوسطى تجبرهم على ممارسة الأعمال، بصفة دائمة مقابل، رواتب قليلة و ترفض أي مناداة للتغيير السياسي ، و لهذا سبب صراع بين هاتين طبقتين مازل حتى الآن. هذه الطبقات في عراك دائم مستمر.

[1] إمام عبد الفتاح، الفلسفة السياسية، عند هيجل، دار النشر تنوير، د.ط، بيروت، 2007، ص 209.

و لهذا " تتميز الطبقات المتوسطة عن الطبقة العاملة بتمتعها بمدخرات مادية أو عقارية أو غير مادية ناتجة عن التربية و الأعداد و العلاقات و تتيح لهم تلك المدخرات التخلص خاصة من الشعور بفقدان الأمن من الذي تتصف الطبقة العاملة غالبا، والعناصر المكونة للطبقات المتوسطة متباينة.

و لهذا تستخدم هذه الفظة دائما بصيغة الجمع، الأمر الذي له دلالته، فهي تشمل صناعا و تجارا خاصتهم العامة ممارسة مهنا مستقلة فإذا كان صانع عملا يدويا، فإنه يناط به أمر إدارة المؤسسة و رقابتها... و ينتمي أيضا الطبقات المتوسطة جميع عناصر المهن الحرة التي لا يمكن اعتبارهم جزءا من الطبقة الحاكمة وخاصة العناصر المتواضعة للمهن الطبقية و القانونية[1] ".

يتضح لنا أن الطبقة الحاكمة هدفها الوحيد السيطرة على كل شيء و فرض قوتها ومكانتها، انطلاقا من مصالحها الطبقية انطلاقا من وعيها الطبقي، أن تنظم كلية المجتمع طبقا لمصالحها و القضية الفاصلة، في نهاية التحليل لكل صراع طبقي هي الطبقة المؤهلة في الوقت المناسب بقدرة الوعي الطبقي.

إن هذا لا يستطيع أن ينزع دور العنف من التاريخ لأن الطبقة الحاكمة هي طبقة التي لها الحق في سن القوانين على المجتمع وتسييرهم كما تريد فالطبقة المتوسطة، لا يمكن اعتبارها جزء من الطبقة الحاكمة فهذه الأخيرة هي التي تستخدمها كما تشاء.

يمكن أن نقول أن هذه الطبقة هي أعلى في المجتمع و ذلك بدءا من رئيسها إلى أدنى منهم.

[1] بيار لاروك، الطبقات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 67.

" يتمتع أفراد الطبقة الحاكمة بالوعي، بالإضافة إلى ما يتمتعون به من ملكية وسائل الإنتاج المادي و هو لذلك يعملون فكرهم، و هو حين يحكمون كطبقة و يحددون الطابع الكلي للمرحلة التي يحكمون، خلالها يحكمون المفكرين أيضا بوصفهم منتجين لأفكار وينضمون بالتالي إنتاج الأفكار، و توزيعها في عصرهم و يترتب على ذلك أن أفكارهم هي التي تسيطر في عصرهم[1] ".

يتضح أن الوعي مرتبط أساسا بأفراد الطبقية في تسير تلك الوسائل و ذلك بإخضاع الطبقات الدنيا لأفكارهم و قوانين تسيير ملكيتهم و هم أولى منهم و يخضعون كل شيء لهم دون نظر الآخرين.

ففي بعض الأحيان توجد طبقة حاكمة بقطاع معين من الطبقة العينة التي تلتزم بظروف محددة تماما فهي تملك أكبر ثروة مادية و أكبر نفوذ واسع الانتشار في جميع الطبقات الأخرى و هي تقرر ممارسة هذه السلطة بفعالية لتشكل اتجاه المجتمع المحلي أو الدولة فإن الطبقة الحاكمة من الرأسماليين أو البرجوازيين تتكون من هؤلاء الذين يملكون الثروة و يسيطرون على الوسائل الإنتاج و بذلك لديهم القدرة على استغلال الطبقة بما يكفي الإنتاج الفائض القيمة و أساسيات الأرباح و ذلك لتوسيع سيطرة الطبقة بشكل أكبر، و تمنح القوة الاقتصادية لمثل هذه الطبقة قوى سياسية أكبر.

و لذلك دائما ما تعكس سياسات الدولة المزايا الفعلية لهذه الطبقة لهذا عادة ما يتم النظر إلى الطبقات الحاكمة بشكل سلبي لأن غالبا ما يتم اعتبارها تقلل من احترام حقوق الطبقات الأدنى و لا تهتم بها.

[1] محمود عودة، تاريخ علم الاجتماع، المرجع السابق، ص 133.

4/الدلالة التاريخية للطبقة:

تكونت الطبقات عبر الزمن من خلال تؤثرها بالأحداث و الأزمات، و الحروب التاريخية التي ساهمت في تشكيل الوعي لتلك الطبقات و قد حاول المفكرين تفسير، تطور الطبقات وهذا رجوعا إلى تاريخها و أحداثها فنجد المفكر ماركس يرى في هذا الشأن

كان من مأثر ماركس أن يبين عبر قراءته التاريخ " أن التعبير ليس فعلا إراديا صرفا، و أن الوعي لا يصنع التاريخ إلا بمقدار ما يصنع التاريخ الوعي و استنتج بالتالي، أن الانتقال من وضع عام تشكيلة إلى آخر يعني نفاذ الدور التاريخي تقدما لطبقة اجتماعية و تصوب الينابيع من الاستجابة للمشكلات الحياة[1] ".

تستنتج أن الوعي لا يصنع التاريخ إلا بمقدار ما يصنع التاريخ الوعي و هذا ما يؤكده لنا ماركس و أن، التاريخ هو الذي يصنع الوعي الطبقي يلعب دور في المجتمع وتبرز إمكانية حدوث وعي طبقي نتيجة العملية الموضوعية للتاريخ هي التي تتحكم في الوعي مثل تلك الأزمات التي تجر بالإنسان إلى البحث، عن الحلول لها و هذا ما يدفع عنه دفع لعجلة الوعي إلى التفكير و تخمين و تصور الأوضاع التي يعيشها أي مجتمع سواء كانت الطبقة البرجوازية أو الطبقة البروليتاريا.

و ذلك أن التاريخ حافل بالأحداث الناتجة عن الوعي الإنسان عبر مراحل التاريخ التي مر بها الإنسان فالتاريخ هو الذي يحددها فمثلا الأزمات التي تواجهها الطبقات العاملة المتوسطة التي تسبب فيها الطبقة البرجوازية أدت إلى توليد وعي طبقي لدى الطبقة البروليتاريا بحيث تعمل جاهدة إلى فك أزماتها و تحرير نفسها من تلك القيود التي وضعتها البرجوازية.

[1] عطية مسوح، الماركسية و أسئلة العصر، المرجع السابق، ص 43.

أن الوعي البرجوازي لا يمكنه أن يفهم الأزمات لأن هذا الفهم يتضمن اكتشاف الخاصية التاريخية الانتقالية لنمط الإنتاج رأسمالي و معرفة حدود البرجوازية من طرف ذاتها و في اعتقادنا أن الأزمات، هي الحقيقة الرئيسية لممارسة الفكر البرجوازي. و أن البرجوازية كانت قادرة على فهمها و بالتالي على سيادتها و الاقتصاد البرجوازي قد طور نظرية الأزمات كما يؤكد على المصلحة الطبقية.

و يوجد أيضا عند البرجوازية أيضا علاقة تعارض و تضاد فالبرجوازية تدفعها في لحظات السير الإنتاج و المصالح الناجمة عنه إلى تطوير وعيها الطبقي إلا أن هذا الوعي عند بلوغ قمة انتشاره يدخل، في تناقض مع ذاته إن هذا الوضع للبرجوازية يظهر تاريخيا ذلك لم تفض على سابيقتها الإقطاعية عندما ظهر عدوها الجديد البروليتاريا.

" و في معركة الوعي هذه يعود للمادية التاريخية دورها الفاضل، و على الصعيد الإيديولوجي كما على الصعيد الاقتصادي البروليتاريا و البرجوازية هما طبقتان متبادلتان الارتباط ... و الحق يقال بصيغة أزمات أيضا تجمع قوى و الطريقة إلى النصر أن هذا يعني على صعيد الإيديولوجي أن الذات الاستعاب من المتنامي يجوهر المجتمع حيث ينعكس نزاع البرجوازية البطيء ، يعطي البروليتاريا نمو الطاقة المستمر و الحقيقة هي بالنسبة للبروليتاريا، سلاح يجلب النصر، و يجلبه بقدر من أنها لا تتراجع أمام شيء إن تغالب اليأس الذي به يصارع العلم البرجوازية المادية التاريخية هو مفهوم حينما تلزم أن تصف إيديولوجية على هذه الأزمة فقد اصلحت[1] ".

[1] جورج لوكانش، التاريخ الوعي الطبقي، المرجع السابق، ص 67.

نستنتج من خلال هذا المقطع أن البرجوازية و البروليتاريا متناقضتان فكلاهما لها قوانينها الخاصة و تسعى إلى تطبيقها و إن معرفة التاريخ بالنسبة للبروليتاريا ينطلق من معرفة الحاضر من معرفة وضعها الاجتماعي الخاص و الكشف عن ضرورتها بمعنى تكوين، لكن بمعنى أن البروليتاريا وضعها التاريخ الاجتماع الخاص أمام وظيفة تحويل واع للمجتمع.

يلعب التاريخ دور هاما في تكوين تلك الطبقات و هذا ما يؤكده ماركس " على أهمية الفهم المادي للتاريخ و التحولات الهيجليين الشبان و من ثمة يرى أن العنصر الاجتماعي الفعال في كل تطور اجتماعي و تاريخي و هو الجماهير ذاتها إنها القوة المادية الحاسمة في صنع التاريخ، و في حركتها و ثوراتها يتحقق التحرر الإنساني بإلغاء النظام الاجتماعي القائم ككل، و إلغاء الملكية الخاصة و قيام الجديد للمجتمع لا طبقي[1] ".

يظهر من خلال ما قدمه ماركس نفهم أن أهمية الفهم المادي للتاريخ مهم جدا وخاصة تغيرات الاجتماعية لأن القوة المادية هي التي تصنع التاريخ، و ذالك يساعد على أن يحقق، تحرر للمجتمعات و قيام، نظام جديد يناسب المجتمع من دون استثناء دون النظر فقط إلى الطبقة البرجوازية و تهميش الطبقات الأخرى لأن التاريخ يشهد على ذلك.

الوعي التاريخي يمثل الإرادة التاريخية التي ينشأ عنها الفعل التاريخي فهو وعي مرتبط بالهوية و الدولة، و الحضارات و الدين و العادات و التقاليد، و هذه العناصر هي التي تعبر لنا عن اختلاف الأمم لكل دول.

[1] فريال حسن خليفة، نقد فلسفة هيجل، المرجع السابق، ص 212.

تلك الرؤية التي هي تعبير عن هويتها الحضارية تفيد أن الحضارات تختلف ويرجع ذلك إلى الظروف الموضوعية من الناحية الجغرافية، و المادية إلا أن رؤيتها هي التي تحدد طريقة التعامل و التفاعل مع هذه الظروف الموضوعية.

ترى أن النظرية الماركسية " تقوم في التغيير الاجتماعي على أساس تحصيله للطبقات الاجتماعية كظاهرة تاريخية فكل طبقة من هاتين الطبقتين تحصل في داخلها إمكانية تحولها، إلى جماعة سياسية تعي مصالحها و تناضل من أجلها، فإن الطبقة الحاكمة المسيطرة قد تكونت بفعل النظم الاجتماعية... و حينما يعي أفراد الطبقة المقهورة أنفسهم بوصفهم جماعة ذات مصلحة مشتركة نابعة من موقف اقتصادي واحد فإنهم سوف ينظمون أنفسهم بالضرورة.

و يعرف هذا الوعي في المفهوم الماركسي بالوعي الطبقي، و من ثمة تتحول الطبقة المقهورة من الطبقة موجودة موضوعيا إلى الطبقة ذات وجود ذات وعي طبقة لذاتها أن الصراع الطبقي بهذا المعنى هو محرك التاريخ هو الذي أدى إلى التحولات النوعية التي طرأت على كافة الأنساق التاريخية الطبقية[1] ".

نستنتج من خلال النظرية الماركسية أن التحول الاجتماعي و التغيير يقوم على أساس تكوينه لمختلف الطبقات الاجتماعية، سواء كانت الطبقة البرجوازية أو الطبقة البروليتاريا يمكن أن تحمل في داخلها تحول إلى جماعة سياسية و تعتمد على مصالحها الخاصة دون النظر إلى الآخرين.

[1] محمود عودة، أساس اجتماع، مرجع سابق، ص 212.

فنجد الوعي التاريخي متجاوزا رصد الحوادث إلى الرؤية للتاريخ العام، و فلسفة للتاريخ الخاص، و محددا مسارا تاريخيا و إن استدعاء الوعي التاريخي و كما عرفه لنا ماركس هذا الوعي بالوعي الطبقي و تتحول الطبقة المهمشة و المقهورة من طبقة موجودة موضوعيا إلى طبقة ذات وجود ذاتي و تكون واعية و أن الصراع الطبقي بهذا المعنى هو محرك التاريخ.

و يظهر ذلك من خلال قول جورج لوكاش " و سمو مادية المجتمع البرجوازي لا يمكن التعبير عنه تعبيرا مطابقا إلا باللجوء إلى معارضة الواقعية الظاهرية لأحداث وطبائع الحياة البرجوازية في غثاثتها اليومية بحقيقة التناقضات المجتمع المدركة في توترها الأقصى[1] ".

بالتالي لا يمكن أن تتعارض الطبقة المقهورة مع طبقة البرجوازية لكونهم أنهم سلطة العليا للمجتمع و الطبقة الراقية، فالمؤرخ ما عليه أن يرصد هذه الأمور و أن دراسة التاريخ و مفاهيم المجتمع تتم إذن في وعي في رصد هذه الطبقات سواء البرجوازية أو طبقة الأدنى.

5/حضور الوعي الطبقي في الرواية:

تعتبر الرواية من أكثر الأجناس الأدبية استيعابا للواقع و متغيراته بحيث يعبر فيها الكاتب بكل حرية عن الأحداث و الوقائع التي تعيشها المجتمعات بمختلف طبقاتها، بحيث أن الرواية لها دور كبير في رصد الأحداث " تعد الرواية أكثر نظم التمثيل اللغوية قدرة في العالم الحديث من حيث إمكاناتها في إعادة تشكيل المرجعيات الواقعية و الثقافية و إدراجها في السياقات النصية، و من حيث إمكاناتها في خلق عوالم متخيلة توهم المتلقي بأنها نظيرة العوالم الحقيقية[2] ".

[1] جورج لوكاش، الرواية كملحمة بردوازية، تر/ جورج طرابشي، دار الحداثة، ط.1، بيروت، 1979، ص15.

[2] أحمد سيد محمد ,الرواية الإنسانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط,الجزائر، 1989، ص 18.

فالهدف الرئيسي للرواية هو نقل المعاناة و الظروف التي يعيشها الإنسان داخل مجتمعه و يقوم بتصويرها داخل الرواية محاولا إعطاء البديل و إيجاد الحلول، فالرواية أتت كنتيجة لوعي الروائي بما يحصل في المجتمع من مشاكل و إن الرواية هي من بين الوسائل التي تمكننا من إظهار الواقع الاجتماعي و تجعل الفرد يفهم ذلك الواقع و محاولة معالجته بما يخدم المجتمع.

و هذا ما يوضحه لنا جورج اليوت في قوله بأن: " الرواية هي التي يمكنها أن تقدم نماذج أكثر إقناعا عن الطريقة و الأسباب التي تدفع الناس إلى سلوك معين[1] ".

و قد يكون غير قادر على الإفصاح عنها مباشرة في الواقع و لكن داخل الرواية يتمتع بنوع من الحرية تسمح له بالتعبير عنها و استعمال خياله كما يريد، و لها الفضل بإيقاظ وعي القارئ و توعيته بالأوضاع الاجتماعية و المعاناة التي يعيشها المجتمع و قد يكون غافلا عنها مثل الأوضاع السياسية و الاقتصادية عامة.

يشترط على الكاتب الروائي أن يكون ملتزما بقضايا مجتمعه و يعبر عنها فالمبدع الحقيقي هو الذي يقوم بعرض المعاناة و الأوضاع التي يعيشها شعبه سواء في بلده أو في دول أخرى مثلا القضية الفلسطينية فالمبدع الجزائري يمكن له أن يكتب عنها.

فنجد الالتزام الفني عاملا أساسيا في نجاح العمل الروائي و اكتماله خاصة إذا تعلق الأمر بالشخصية الروائية التي تعد الركيزة الأساسية للعمل الروائي، و لذلك دعا الروائين إلى الاهتمام بها و تطبيقها و تجسيدها في أبعادها الإنسانية و الواقعية.

فنجاح أي عمل روائي مشروط، بقدرة الروائي على خلق شخصية إنسانية في مصادرها، وسط علاقاتها الاجتماعية و الواقعية، دون أن تكون مطابقة تماما لما هو موجود في الواقع.

[1] دافيد لودج، الفن الروائي، ترا. ماهر البطوطي، المجلس الاعلى للثقافة، ط.1، القاهرة، ط.1، 2002، ص 206.

و كانت الرواية، محل دراسة عديد من المفكرين، و النقاد،مثل " جورج لوكاتش "و "لوسيان غولدمان " في البحث عن مفهوم الرواية من حيث ماهيتها وخصائصها.

و من أهم الدراسات التي تناولها النقد الروائي الغربي بالدراسة و التحليل تلك التي جاء بها جورج لوكاتش اين وضع نظرية متكاملة حاول من خلالها أن يؤكد على أهمية المعيارين، الجمالي و التاريخي في مفهومه للرواية و هذا ما يتضح في قوله " إن الرواية عبارة ملحمة برجوازية انما يطرح في وقت واحد المسألة الجمالية و التاريخية[1] ".

من الناحية الجمالية فالرواية تحتوي على بعض العناصر الجمالية من الناحية التاريخية فهي ترتبط بصعود الطبقة البرجوازية تتغير أحداث الرواية و مواضيعها. انطلاقا إلى تغيير الأوضاع الاجتماعية للمجتمع البرجوازي و بالتالي فالرواية أخذت مسارها إلا في التطور من مرحلة إلى أخرى، اعتمادا إلى مجتمع البرجوازي.

" فلقد ولدت الرواية الحديثة بالنظر إلى مضامينها من الصراعات الإيديولوجية للبرجوازية الصاعدة ضد الإقطاعية، المتدهورة، و لكن المعارضة التي كانت قائمة إزاء عالم العصر الوسيط أي المعارضة التي تكاد تملأ الروايات الكبرى الأولى لم تمنع الرواية التي كانت في طور الولادة من تلقي موروث الثقافة الإقطاعية في ميدان السرد القصصي"[2].

و عليه نتمكن من اكتشاف نوع العلاقة القائمة على التداخل و التكامل بين كلا من الرواية بحكم أنها شكل روائي و بين البرجوازية التي تمثل الوسط الاجتماعي الذي يتطور الشكل الروائي.

[1] جورج لوكاتش، الرواية، المرجع السابق، ص 13.

[2] جورج لوكاتش، الرواية، المرجع السابق، ص 95.

و يلجأ بعض النقاد إلى هذا الرأي مثلا من النقاد "محمد بوعزة" الذي يطرح قضية الرواية و البرجوازية و العلاقة التي يربطها حيث يقول حسب اعتقاد و تصوير الفيلسوف هيجل: " يربط ظهور الرواية، بتطور المجتمع البرجوازي[1] "

من خلال هذا القول نتوصل إلى أن الرواية تطورت بتطور الطبقة البرجوازية و ذلك بتصوير ذلك المجتمع الغني و الحديث عن السلطة و عن كل الأمور المتعلقة بهذه الطبقة و تطويرها على أرض الواقع.

نجد جورج لوكانش قسم الرواية إلى ثلاثة نماذج المتمثلة في الرواية المثالية المجردة، تكون فيها وعي الفرد الإشكالي ضيقا بالقياس إلى الواقع أما التقسيم الثاني المتمثل في الرواية الرومانسية انجلاء الوهم و في هذا النموذج ينشأ عدم التلاؤم النفس مع الواقع من أي وعي الفرد الإشكالي هو أكثر اتساعا و رحابة من جميع العصائر التي يمكن أن تقدمها الحياة له، و نموذج هذا الطور هو رواية " التربية العاطفية " لفلوبير.

أما التقسيم الثالث هي الرواية التربية كمحاولة تركيبة النموذجية السابقين يسعى فيها البطل إلى تحقيق التوازن عن طريق مزدوج التلاؤم مع المجتمع بواسطة تقبل أشكال حياته و من جهة ثانية الانطواء على الذات و الاحتفاظ داخل النفس على سريرة لا يمكن أن تحقق مثلها.

إلا و أن الرواية لها دور كبير في رصد الواقع " يمكن أن تكون وسيلة إدراك معرفي بمقدورها أن تزودنا برؤية صحيحة عن عام الحياة و الأحياء و العلاقات الإنسانية تفوق الاجتماع و التاريخ و النفس و الإنسان[2] "

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمان، د.ط، الرباط، 2010، ص 15.

[2] روبرت هيجل، تر/ دكتور صلاح رزق، قراءة الرواية، مدخل إلى التقنيات التفسير، دار غريب،د.ط, القاهرة، 2009، ص 13.

تعتبر الرواية إحدى تقنيات التي يجسدها الكاتب في رؤيته و يعبر من خلالها عن إحساسه بواقعة و هذا ما يمنحه مكانة مرموقة و عالية في عمله الروائي فنجد جورج لوكانش أنه تجاوز الفكر الهيجلي الذي ظل أسير له، لقوانينه و مفاهيمه المثالية خلال المرحلة الأولى من مساره النقدي ليجمع بعد تحوله إلى الفكر و الواقع التاريخي.

ما دفعه للتخلي عن مفاهيمه الهيجلية السابقة و نجده مهتما بالواقع و هي من أهم القضايا النقدية التي خصص لها لوكانش دراسات عديدة و استطاع إزاحة الطابع المثالي وحاول ربطها بالقوى المحركة للتاريخ و استطاع أن يحرر الواقعية من قيود الانعكاس الأدبي.

فالعمل الأدبي عند لوكانش " لا يعكس الواقع من خلال رسم مظاهره الحسية وإنما بنقل تجربة إنسانية حية و معقدة أي نقل فنية للعالم، الانعكاس ليس إدراكا مباشرا وسريعا أو التقاطا للعوارض بصورة مسطحة و بمنأى عن النفاد إلى الجوهر أنه القدرة الإبداعية على الإمساك بالكلية الاجتماعية بغية الغوص في ما هو كامن خلف الظواهر الحسية وما يمثل حقيقة جوهرية[1] ".

و لذلك نجد جورج لوكاتش بمفهومه للانعكاس يدعو الأديب لاحتواء الواقع و السيطرة عليه لأن البنية الروائية تنتج من خلال علاقات التصادم بين الفرد الإشكالي و العلاقات المنشئة في الحياة اليومية للنظام الرأسمالي.

و هذا ما يوضحه لنا " لوسيان جولدمان " مدى ارتباط الرواية بالطبقة الوسطى للمجتمع البرجوازي حيث يقول " إن العمل الروائي يعكس ماهية المجتمع البرجوازي يقدرها تترك

[1] عبد الوهاب شعلان، المنهج الاجتماعي، من سلطة الإيديولوجيا إلى فضاء النص، عالم الكتب الحديث، ط.1، الأردن، 2008، ص 41.

تحولات المجتمع الأخير آثارها على تحولات الشكل الروائي[1] ".أن الكاتب بقوم بنقل الأوضاع التي يعيشها المجتمع و كل الأمور متعلقة في الوسط الاجتماعي.

عند قيام بأي عمل فالروائي يقوم بتصوير الواقع بالاعتماد على عنصر الخيال ويعكس تلك الأوضاع الاجتماعية في الواقع، لأن الروائي يستعمل الخيال لأنه مهم جدا في النص الإبداعي " إن الخيال هو عماد الفن، فعن طريقه يتم للفنان انتزاع شتى صور من الواقع المشاهد الذي يمثل بالنسبة له المادة الروائية و استحضارها في الذهن في أي وقت و التصرف فيها على مختلف الأشكال و الأوضاع[2] ".

و هذا ا يفسر لنا أهمية العملية التخيلية لدى الروائي، إذ يقوم بنقل الأحداث في الواقع و يصورها بشكل آخر داخل الرواية و هذا للفت انتباه القارئ و تشويقه على القراءة. " يضيئ الحديث السوسيولوجي و السيكولوجي المرحلة التاريخية التي يعصرها الحديث الروائي خلال تجربته التخيلية و الملاحظة التي نكونها عن الأخير في تجربته مع الوعي الواقع و هي في ذلك الميل إلى التصويرية الوصفية أكثر من التخيلية[3] ".

نستنتج من خلال هذا القول أن الروائي يستلهم الأحداث داخل روايته من خلال تصويره للوقائع التاريخية و هذا نتيجة وعيه لتاريخ و المجتمع حيث يصف و ينقل لنا الوقائع كما هي " أن الروائي يحاول من خلال روايته أن يجسد رؤيته و منطلقه في الحياة فإنه يسعى إلى توظيف الأسلوب الأقدر على تحقيق هذه الروية في رسم شخصياته المتخيلية[4] ". فالكاتب

[1] فيصل دراج، نظرية الرواية و الروية العربية، المركز الصقافي العربي، ط.1، بيروت، 1999، ص 42.

[2] أحمد إبراهيم الهواري، نقد الرواية في الأدب العربي، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، د.ط، الكويت، 2003، ص 140.

[3] سعيد علوش، الوراية و الإديولوجة، ص 33.

[4] عدنان علي شريم، الأدب في الرواية المعاصرة، عالم الكتب الحديثة، ط.1، الأردن، 2008، ص 193.

دائما يسعى إلى كتابة بأسلوب أقرب إلى الواقع و المجتمع ويكون مفهوما في رسم شخصياته المتخيلة.

يعتمد العمل الروائي مادته من تجارب و ذلك يساعد على عرضها في الروايات مختلفة و لقد كان السرد الروائي هو الأسلوب الأمثل لنمط الحياة البرجوازية الفردانية، حيث يمكننا من خلال الرواية فقط أن نعطي صورة للحياة الحديثة و أنماط التبادل و العلاقات بين أفراد المجتمع. و أن البرجوازية الصاعدة التي فرضت قيمها على المجتمع، حملت معها تصورا أو وعيا عن العالم.

" و لكل إنسان دوره في عملية الإنتاج الاجتماعي، مثلها لكل شخصية روائية مكانها في النسيج الروائي، أن كل إنسان يأخذ أهمية في المجتمع من الدور الاجتماعي الذي يقوم به، فالدور الاجتماعي للشخص يجعلنا نصف شخصية اجتماعية أو روائية ما بالبرجوازي الصغير مثلا ليس مجرد دخلها و عملها وضعها المادي بل أن الذي يجعلنا نطلق مثل هذه الصفة هي طريقة تفكيرها و طريقة حلها للمشكلات، أي رؤيتها الفكرية و وعيها، وإذا كانت الروية استعارة أدبية، المشبه المحذوف فيها هو المجتمع أحد طرفيه[1] ".

و للعمل الإبداعي الفني المتمثل في الرواية دور هام في إبراز الواقع الاجتماعي للإنسان، فالروائي الناجح هو الذي يقوم بافضاح الواقع الاجتماعي الذي يعيشه معظم الفئات المقهورة، من معاناة. و هذا يبين لنا " هذه الوضعية المحورية التي يمثلها العمل ليس ابتكار شكلي شكليا محضا من ابتكارات الجمالي بل هي ناجمة عن ضرورة إبراز الواقع بصورة ملائمة أو تصوير العمل هو الطريقة الوحيدة و الممكنة، لتجسيد العلاقات الحقيقة للإنسان

[1] محمد كامل الخطيب، الرواية و الواقع، دار الحداثة لطباعة النشر، ط.1، لبنان، 1981، ص 25.

بالمجتمع و الطبيعة، و لا تقصد بهذه العلاقة وعي الإنسان فقط، بل الذات نفسها التي هي أساس هذا الوعي[1] ".

من خلال هذا التفكير، يظهر لنا دور الخيال الروائي، و حسن اختيار المواضيع وتصوير الأحداث و يجسد وعي الفرد بمجتمعه بصورة حقيقية، و كذا وعيه بنفسه و يحس الفرد حقا يتمتع بهذه الأعمال الروائية لأنها تتحدث عن أوضاع مجتمعه و عن مشاكله: "و الرواية ذات تعبير العربي و الفرنسي نداء إلى التأمل في وضعية حالية للخلق الأدبي، هاته الوضعية الحالية لا تعطى كما يمكن أن نتصور توالدا إبداعيا و الصيغة الثقافية التي يريد أفراد أو منظمات جعل منها أزمة نمو للأدباء ليست في الصميم إلا تعبيرا عن ركود[2]".

فالرواية كما أشرنا هي تعبير صادق عن الأزمات و المشاكل التي يمر بها الفرد عبر الزمن.

[1] جورج لوكاتش، نظرية الوعي و تطورها، ترا و تقديم نزيه الشوفي، د.ط، د.س، ص 28.

[2] المرجع السابق، ص 33.

الفصل الثاني

دلالات الوعي الطبقي

وتجلياته في متن رواية

"نهاية رجل شجاع"

الفصل الثاني:

دلالات الوعي الطبقي و تجلياته في متن رواية "نهاية رجل شجاع"

أولا: ملخص رواية "نهاية رجل شجاع"

ثانيا: قراءة في العنوان

1- مفهوم العنوان

2- تحليل العنوان

ثالثا: دراسة الشخصيات

1- الشخصيات الواردة في الرواية

2- تقديم الشخصية الرئيسية "مفيد"

3-علاقة شخصية مفيد بالأحداث والمكان والزمان

أولا: ملخص رواية "نهاية رجل شجاع"

تجري أحداث رواية "نهاية رجل شجاع" لحنا مينة في قرية الخراب "باللاذقية" إذ تروي حياة الطفل مفيد في الثانية عشر من عمره. حيث عاش طفولة بائسة مليئة بالبؤس والشقاوة والمشاكل، وهذا بداية من حادثة قطعه لذيل حمار جاره عبود «قطعت بسكين حادة كن أحملها دائما، ذنب حمار أحد الجيران في ضيعتي "الخراب"».[1]

مما جعل أبوه يعاقبه على فعلته هذه فقام بربطه وعقابه وضربه أمام أهل ضيعته، ولكن الأمر لن يتوقف هنا، بل قاموا برفع شكوى ضده إلى المختار، مما زاد الأمر سوءا وإحراجا له، وكان أبوه يعاقبه ويصرخ عليه ويلقبه بالوحش نسبة إلى أعماله الشنيئة «كان يصرخ في وجهي: – يا عرص، يا ابن الكلب، يا ضار، يا وحش».[2]

لم يتحمل مفيد كل هذه الإهانات رغم محاولة أمه في نصحه وإرشاده، فهرب من البيت ثم من الضيعة نهائيا، أصبح مشردا في المزارع المجاورة باحثا عن لقمة عيشه، تعرف مفيد على صاحب أبيه إبراهيم الشنكل وأضافه في بيته ليلة واحدة، فقام بنصحه وإرشاده ومحاولة نسيانه للماضي وخوض غمار الحياة واعتماده على نفسه، أخذ مفيد بنصيحة إبراهيم فذهب إلى المدينة بحثا عن مأوى وعمل يقتات منه، هنا التقى بعبدوش الفتى المشاغب الذي هرب من بيتهم، كان يعمل في فرن خبازا، ساعد مفيد للعمل في ذلك الفرن حمالا للأكياس، ولم يكن يهمه نوع العمل بل كان مستعدا أن يقوم بأي شيء مقابل كسب لقمة عيشه « قلت ببساطة وتأكيد: – مستعد أن أجر عربة.

– لكنك لست بغلا.

[1] حنا مينة، نهاية رجل شجاع، د ط، دار الآداب، بيروت، 1989، ص7.

[2] الرواية: ص18.

– أستطيع أن أقوم مقام البغل، كل ما أريده هو اللقمة.».[1]

كان مفيد ذو شكل عملاق وقوة خارقة يتحدى الأطفال في عمره وكان متفانيا ومحبا لعمله مما جعل صاحب الفرن يحبه ولا يستغني عنه ولكن كان عقله فارغا لا يستوعب الأمور بجدية.

عاش مفيد في "بانياس" وهي مدينة ساحلية جميلة كان يعمل في الفرن هو وعبدوش وفي الليل يسهران في المقهى إلى آخر الليل وفي أحد الليالي جرى شجار في المقهى بين الرجال الفرنسيين وصاحب المقهى الذي رفض أن يضيف لهم المشروب مما جعل مفيد يفقد أعصابه وتشاجر معهم فوصلت إلى حد الشجار بالرصاص، وهنا تم القبض على عبدوش ومفيد ضلّ هاربا لثلاثة أشهر متشردا في الشوارع. في هذه الفترة تعرف مفيد على لبيبة وهي أول امرأة في حياة مفيد أحبته وكانت تعتني به، غير أنه لم يطل الأمر مطولا حتى قبضت الشرطة على مفيد «غير أن أولاد العاهرة تمكنوا من إمساكي ومن تقييدي، وسوقي إلى السجن باللاذقية»[2]، وهنا في السجن تعرف على "عبد الجليل" و"الأستاذ" أين قاما بنصحه وتوعيته وتعليمه، فقد استفاد منهما كثيرا وخاصة ما تعلق بالسياسة والاستعمار وهذا ما جعل رجال السجن يحترمونه، وفي هذا السجن نضج مفيد وانتهت أيام الولدنة.

خرج مفيد من السجن وذهب للبحث عن عمل، كان مفيد يحب البحر والإبحار وكان ينام في المرفأ وهنا تعرف على "الريّس بكري الغطاس" وأصرّ مفيد أن يخرج معه إلى البحر للصيادة فقبل الريّس وكان مفيد متحمسا لذلك. عمل مفيد في المرفأ وتعرف على حليش وصاحبه وكان رفيق سوء له حيث جرت مشاكل كثيرة بصحبة حليش و"الزقلوط" وهذا ما

[1] الرواية: ص49.

[2] الرواية: ص73.

تسبب في سجنه لمدة حمس سنوات. وقفت لبيبة إلى جانبه في السجن وكانت تزوره ولقد وقفت لبيبة المحبة إلى جانبه بصبر وثبات وسهرت من أجله وساعدته كثيرا.

ثم يظهر أيضا في حياته إبراهيم شنكل من جديد ويساعده على الخروج من حالة اليأس إلى حب الحياة، وساعده على العمل كبائع للسجائر، ثم للبضائع الممنوعة من السفن وأصبح يحلم بامتلاك سفينتين صناعيتين.

نستخلص من رواية "نهاية رجل شجاع" أن مفيد الوحش المراهق الشقي لم يجد من يعطي له قيمة ويتعامل معه معاملة سليمة، كانوا دائما يحتقرونه لأنه مشاغب وعقله فارغ، وهو في حقيقة الأمر شخص طيب ورقيق القلب وكريم وشجاع لكن المجتمع الذي عاش فيه ابتداء من الأب القاسي الذي يضربه إلى المعلم الجاهل والمغرور في المدرسة إلى المختار الذي عاقبه من أجل قطع ذيل حمار عبود، كل هؤلاء كانوا السبب الرئيسي في ضياع مفيد وعدم عيش طفولته كبقية الأطفال. لو أنهم عاملوه معاملة كالتي عامله بها إبراهيم لكان إنسانا ناجحا ينفع نفسه والمجتمع. لأن مفيد كما صوره لنا حنا مينة ما هو إلا إنسان بسيط فيه بذور الخير وأخرى للشر وكلتاهما تبحثان عمن ينميهما في نفسه، مفيد شجاع وعنيد في الوقت ذاته، إذا أصر على رأي فلا يستطيع أحد أن يغيره، لتحقيق أهدافه كان مقتنعا بنفسه، إلا أن الظروف التي واجهها منذ صغره لم تساعده على أن يكون مثل بقية أفراد المجتمع، وهذا راجع لسوء لمعاملة القاسية من طرف أبيه.

وأصبح يتخيل مفيد المشي في الشوارع والنزول إلى البحر لكنه وقع ضحية مشاكله في الميناء.

ولكن العمر والزمان مهما تقدما لا يمحيا نزعة العنف والعداوة من قلوب البشر، ففي أحد الأيام صادفه عدو قديم كان معه في الميناء، فأقاما شجارا مما اضطر الشرطة إلى إيقافه وقدع أحلامه قبل أن تتحقق لأنه كان يحلم أن يعيش حياة هادئة ويعمل لجلب قوت

عيشه ولكن القدر مرة أخرى حطم له هذه الأحلام وكان فرحا في العمل في الميناء «لأنني صممت على دخول الميناء والعمل فيها واكتشافها، وإثبات وجودي بين رجالها... لأول مرة في حياتي شعرت أنني إنسان مستقيم يأكل خبزه بعرق جبينه هذا ما سرني كثيرا، فالحياة ليست لعبة، حياتي صعبة، لكنها حياة جدّ عرق فيها وأجد لذّة في هدا العرق أجد العافية، فكأنها شيء شيئا بدّلني داني إلى صواب»[1]، لكن كما أشرنا سابقا هذا لم يدم كثيرا فأحلامه كلّها ضاعت.

وكانت نهاية حياة مفيد مأساوية وذلك بإصابته بمرض سبب في قطع رجليه، رغم محاولته لقهر هذا المرض وممارسته التجارة لكسب عيشه، فكانت تجارته من النوع الممنوع، مما جعل الشرطة تهدده بالامتناع عن ذلك، واصل مفيد التجارة دون خوف إلى أن قام يوما بقتل الرقيب، ثم قتل نفسه مباشرة فكانت هذه نهاية مفيد نهاية الرجل المليء بالشجاعة.

[1] الرواية: ص219.

ثانيا: قراءة في العنوان

1- مفهوم العنوان:

العنوان عبارة عن علامة وفاتحة أساسية للنص، وهو كذلك هوية النص بحيث يعطي له انتماؤه وجنسه الفني والجمالي، وتشكل علاقة العنوان، ذات طابع جدلي، أي أنّ العنوان يفسّر النص والنص يفسّر العنوان، «يؤسس العنوان في الخطاب الروائي موقعه الخاص والمتميز انطلاقا من بنيته التركيبية والسيمائية، كما يعلن عن وجوده بصفته "نصا مصغرا" microtexte مولدا لسننه الخاص، باعتباره مكونا متميزا في سياق فضاء صفحة العنوان "page de titre" الزاخرة بالعلامات اللغوية والتشكيلية، لا يفترض العنوان الاستقلال التام عن النص، فهو بالتالي عنصر من مجموعة العناصر المكونة للخطاب الروائي برمته (صورة الغلاف، الإهداء، الخطاب الافتتاحي، النص المركزي، التذييل)».[1]

ويحمل العنوان في علاقته بالنص جملة من الوظائف المختلفة، منها ما هو دلالي وإبلاغي وإغرائي وإخباري وتواصلي، وفي المحصلة أنّ العنوان له سمة الخصوصية الفنية لهوية الفرد الذي يطلع على توصيفه وتخيله وإبراز مكوناته وصياغته العامة جماليا ودلاليا.

إن تحليلنا من ناحية الإجراء التطبيقي، يكون من خلال الاعتماد على المقاطع السردية، وذلك انطلاقا من مفهوم المقطع: «إن المقطع (le morceau) أو الشذرة (le fragment) التي يتم احتواؤها من امتداد النص الروائي، من حيث هي تشخيص لفضاء

[1] عبد المالك أشبهون، العنوان في الرواية العربية، النابا، محاكات للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2011، ص14.

معين، لها بلاغتها وقوتها الدلالية. الشذرات (المقاطع) محركات داخلية للكتابة ومنطلقات أساسية لكل قراءة».[1]

2- تحليل العنوان:

أ/ المستوى اللغوي:

جاء عنوان رواية "نهاية رجل شجاع" دلالة عن "نهاية رجل شجاع" على شكل جملة اسمية يحمل مبتدأ وهو النهاية ويخبرنا هذا المبتدأ عن خبر هو رجل كما يصفه بالشجاع.

ب/ المستوى الدلالي:

يحمل عنوان الرواية "نهاية رجل شجاع" دلالة عن نهاية رجل وصفه الكاتب بالشجاع، امتاز هذا الرجل بالقوة والشجاعة منذ صغره وكان مغامرا «لقد وهبني الله قوة كبيرة، وشجاعة لا يقف في وجهها شيء، فكنت أعتدي على زملائي بالضرب وبالشتم»[2]، وهنا يؤكد الكاتب على القوة التي يملكها مفيد، وشدة الشجاعة التي لا تقاوم، واستخدم أسلوب إخباري، وأفعال الماضي الدالة على السرد، ومن العنوان يتبين أنّ لهذا الرجل زيادة على شجاعته طيبة وبراءة لأن هاتين الصفتين لازمتين للشجاعة «كنت بريئا بقدر ما كنت شقيا، ولم تكن هناك عداوة بيني وبين أحد»[3]، وهنا اعتراف لمفيد لبراءته وشقاوته في نفس الوقت وقد قدم الكاتب هذه الفكرة في لغة معبرة واستخدم طباق الإيجاب عندما ذكر أنه كان بريئا وشقيا، فالبراءة عكس الشقاوة.

---

[1] حسن نجمي، الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص90.

[2] الرواية: ص22.

[3] الرواية: ص33.

ويتمنى والد مفيد موت ابنه والتخلص منه ونهايته وهذا من خلال قوله: «–أنا قلق عليه؟ ولماذا؟ أخاف أن يخطفوه، أن يضربوه، أن يموت؟ ليته يموت، كنت على الأقل أستريح»[1]، وقد استخدم الكاتب هنا أسلوب إنشائي متعدد الأنواع من استفهام وتمني وغرضه هو الاحتقار.

ولم يكن مفيد يحب الدراسة ولا المعلم فكانا دائما في حالة شجار ويوّد مفيد إبراز شجاعته وقوته أمام المعلم «–آه ضبطك!! بعد الحيوانات يأتي دور البشر، تريد الاعتداء على البشر، وهنا الجريمة الكاملة... أنت مستعد لارتكاب جريمة كاملة؟

- نعم
- وتقولها بهذه السهولة؟
- بهذه السهولة.
- ولا تخشى العقاب؟
- لا أخشى أي عقاب.
- إذن أنت وحش؟!
- نعم أنا وحش...».

في هذا المقطع استخدم السارد أسلوب إنشائي ولغة جريئة حيث تحدث مفيد مع معلمه بدون تأدب وأن السارد تعمق في تبيان شخصيته (الرجل) وعرض هذا على شكل حوار يدور بينه وبين المعلم فكان المعلم مندهشا ومتعجبا من أجوبة مفيد إلى حدّ وصفه بالوحش وتشبيهه به.

[1] الرواية: ص28.

فقد شبه المعلم مفيد بالوحش وهذا تشبيه بليغ، يدل على شدة شجاعته وقساوته وانفعاله. وهذا ما جعل الأستاذ يطرده من المدرسة بسبب وقاحته هذه: «طرد من المدرسة

- الآن في الحال، هيّا خذ دفاترك وكتبك وانصرف لم يبق لك مكان هنا.
- هذا أفضل

قلت ذلك وعدت إلى الصف، أخذت أغراضي وانصرفت خرجت من المدرسة دون أن أنظر إلى وراء. كن أكره أن أرى سحنة المعلم شعبان وكنت سعيدا لأنه طردني».[1]

استعمل الكاتب في هذا المقطع أسلوب الأمر والحوار بين المعلم ومفيد. لقد كان مفيد سعيدا بطرده من المدرسة وهذا دليل على نهاية مسيرته وشقاوته مع الأستاذ لأنه كان يكره المدرسة.

خرج مفيد من ضيعته متشائما وحزينا وواعيا بأنّه لا جدوى من البقاء فيها: «لعنت ضيعتي "الخراب" بصقت عليها، بصقت على بيت المختار، وبيت أبي وباركت أمي ودعوت لها بالصحة والعمر الطويل، حتى أعود يوما وأراها، وانحدرت من خاصرة الجبل، وقمت بدورة كبيرة، حتى أتجنب المرور بالضيعة أو قربها ومشيت في طريق هجرتي الأولى»[2]، هنا يبدو انفعال مفيد وجرأته في المغادرة من ضيعته "الخراب" استعمل السارد أفعال الماضي بسقت تدل على الكره لأهله وخاصة أبيه والمختار بخلاف هذا بارك أمه ودعا لها بالصحة والعافية. وقد استعمل السارد مجموعة من الحروف ومن بينها حروف الجر والعطف وهذا لحفظ انسجام واتساق النص.

[1] الرواية: ص37.

[2] الرواية: ص43.

وهذا ما أدى إلى انتهاء حياة مفيد في الضيعة وتحوله للعيش في بانياس «فذهبت إلى اللاذقية كنت مقتنعا، إلى ما بعد كلام إبراهيم الشنكل، أن عليّ أن أغيّر سلوكي وأن أبدأ عملا شريفا، لكن أين العمل الشريف؟». جرى حوار داخلي بينه وبين نفسه حيث يتساءل كيف يجد عملا شريفا بين هذا المجتمع أين لا يعرفه أحد، وكان حائرا وقلقا بإيجاد العمل له، انشغل السارد على استراتيجية الوصف الواقعي والتفسيري والتوجيهي.

من خلال ما قدمناه سابقا يتضح أن البطل الرئيس في هذه الرواية ينتمي إلى الطبقة الشعبية الاجتماعية البسيطة وامتاز بشجاعة منذ طفولته البائسة وهذا ما جعله يقطع ذيل الحمار.

سافر مفيد وعاش لوحده وتحدى العراقيل والصعوبات وكان متشردا بين الحقول والمزارع يقتات منها وينام فيها «كان عليّ أن أتحمل الجوع والعطش والوحشة، وقبلها ذلك الشعور بأنهم عاقبوني دون ذنب مادام قطع ذنب الحمار لم يكن ذنبا في نظري».[1] بيّن السارد أسلوب إخباري يخبرنا فيه عن قساوة الأيام التي مرّ بها واعتبر أن قطع ذيل حمار ليس ذنبا في نظره بل هو مجرد تسلية ولكن المجتمع لم يرحمه وحكم عليه بسوء.

ومن بين الأحداث التي تركت مفيد يتصف بالشجاعة والقوة وعيه بنفسه والحياة، واستدرك بأنّ عليه إيجاد عمل، وتفريغ قوته فيها في عمل ينفعه مهما كان نوعه، فاشتغل في فرن كحمال للأكياس وكخباز وكان متفانيا في عمله «أن مستعدّ لا لإدخال الطحين فقط، بل لتفكيك الشاحنة وإدخالها إلى القبو أيضا، لا تحسب قوتي بعمري أنا عمري سنة، لكن جشمي الضخم يعطيني عشرين سنة، الذين طردوني من المدرسة أحسنوا، كنت أخجل وأنا فتى بين أولاد صغار».[2]

[1] الرواية: ص43.

[2] الرواية: ص52.

كما يحمل العنوان دلالة عن رجولة مفيد الوحش وفحولته وعن مدى إسراره وتمسكه بها «لا أطيق أن تكون لي امرأة وتكون لغيري في نفس الوقت، أقتله وأقتلها إن ضبطتهما معا. أنا رجل فحل، وأنت بخبرتك الكبيرة، تعرف معنى الرجولة والفحولة» فابتسم وأجاب: «عشت يا وحش، هكذا يكون الرجال. أنت هنا يا رجالي»[1] هنا تتجسد غيرة مفيد وروحه الطيبة ورجولته وفحولته اتجاه امرأة أحبته وعبّر عن هذا في أسلوب إخباري حيث وظّف أسلوب الشرط.

كما تجسدت روح مفيد الطيبة والإيجابية في محاولته تحدي جميع الصعاب والعقبات من

أجل استقامته ونحوه الطريق المستقيم «الحال مستورة يا مفيد، هذا أفضل من العودة إلى الماضي. هذا هو الباب الضيق الذي وراءه الطريق المستقيم، وبهذا الطريق المستقيم أوصاك الأستاذ ماهر»[2]. عبّر مفيد عن طيبته في هذا المقطع بأسلوب سلس ولغة موحية وإيجابية دالة على نضجه ووعيه بوضعه وحاله التي هو فيها حاليا وأن العودة إلى أيام الماضي لن ينفع وأنّ من الضروري الصبر والتحمل من أجل نيل الأخلاق والتربية الجيدة.

وقد وظف سرد بياني يوضح تصوره حيث قال أن هذا هو الباب الضيق الذي وراءه الطريق المستقيم، أين صرّح بالمشبه به وهو الباب الضيق وحذف المشبه على سبيل استعارة تصريحية.

عاش مفيد هاربا من الشرطة ولكنه تم القبض عليه ودخل السجن بسبب تشاجره مع الرجال الفرنسيين وكان ذلك الشجار عبارة عن ردّة فعل منه ومن حبّه لوطنه وأبناء وطنه ولكن مفيد لم يكتشف ذلك الإحساس في ذلك الوقت إلى حين دخوله إلى السجن والتقائه بعبد

[1] الرواية: ص93.

[2] الرواية: ص93.

الجليل والأستاذ ففسروا له الأمر وكان منصدما من هذا ومن الأعمال السياسية والأخبار المعلنة في الجرائد فردة فعله كانت عفوية وإحساسه كان صادقا «حلو –قلت في نفسي– أنت سجين سياسي يا مفيد، سجنوك لأجل السياسة وأنت لا تعرف عنها شيئا، إلا ما قاله لك إبراهيم الشنكل».[1] يعبر مفيد عن إحساسه بالفرحة بأنه سياسي فدار حوار داخلي بينه وبين ضميره واعترف أنه لا يعرف شيئا عن السياسة وأخذ يخاطب نفسه باستعمال الضمير أنت. النص ومقاطعه هو اشتغال على ما يسمى السرد الواصف أو السرد الواقعي.

تغيّرت حياة مفيد الملقب بالوحش داخل السجن وأصبح يتماشى مع الرجال العقلاء والناضجين مما ساعد هذا في نضجه ووعيه بالحياة وما يدور به من أمور وكذا ساعدته مواصلته في القراءة والكتابة في إنماء إدراكه واستيعابه لما كان يدور خارج السجن والمسائل السياسية فطوّر هذا تفكيره وأخرجه من قوقعة الماضي فأصبح يفكر في المستقبل بشكل جدي، وهذا بفضل نصائح الأستاذ وعبد الجليل صديقاه في السجن «لن أعود إلى الشيطنة أو الرذيلة أو السرقة، ولكن ماذا لو انسدت الدروب في وجهي؟ ماذا أفعل عندئذ؟ لا أعتمد على زندي؟ أضفت بعد وقفة: – بل سأعتمد على زندي، سآخذ حقي بالقوة، أنا قوي وسأعتمد على قوتي، ولن أسمح لأي إنسان أن يدوس على رجلي، أن يمنع عني اللقمة، ألم يقل الأستاذ ماهر «إن رأس المسألة هي اللقمة»»[2]، وهنا ينجلي بوضوح وعي مفيد واقتناعه أنّ عليه أخذ حقه بعرق جبينه ولن يتمادى إلى السرقة والرذيلة، وقد عبّر عن هذا بأسلوب خبري وحوار داخلي وكذا تساؤل عما يمكنه فعل ذلك.

نهاية رجل شجاع هو محاولة من السارد للارتقاء بوعي الشخصية ومعرفة أحوالها وتناقضاتها والتعاطف معها.

[1] الرواية: ص75.

[2] الرواية: ص90.

من بين الصفات التي يمتاز بها مفيد الثقة بالنفس وكان يحب عمله ويحافظ عليه «لو كان في مثل موقفي لخاف لتأثير برهبة الموقف، أيّ إنسان غيري كان يحسب حساب الموت السجن والتعذيب، أما أنا فقد نسيت كلّ ذلك، أو لم يخطر على بالي شيء من ذلك، سرقتني خواطري التي أثارها الليل والبحر والريح الرهوة».[1] بينما السارد هنا تحدث عن مدى ثقة مفيد بنفسه وقوته في مواجهة المصاعب فرغم أنّه في موقف صعب إلاّ أن برودة أعصابه، جعلته يتحدث مع نفسه ويفتخر أمام الآخرين، واستعمل لغة توحي إلى صفته، وتعبر عنها. كان مفيد يملك عزة نفس راقية حيث أنه في أصعب حياته لم يمد يده إلى الآخرين.

«–أنت جائع إذن!

لم أجب شعرت بقهر داخلي ولم أجب».[2]

جاء هذا المقطع على شكل حوار وتساؤل ولكن من دون جواب صريح ولكن الإجابة كانت واردة في صمته.

امتاز مفيد بالكرم والسخاء رغم انتماءه إلى طبقة فقيرة، رغم حاجته إلى النقود والمدخول إلاّ أنه كان كريما مع أصدقاءه حليش وعبدوش. «دفعت بسخاء وبأكثر مما تبقى لي. كنت كريما بالفطرة، والآن عليّ أن أكون كريما بالفعل. لا تمتلك قلوب الناس إلا بالمعروف، ولا تخضع من حولك إلا بالأريحية والشجاعة»[3]. في هذا المقطع يؤكد لنا السارد

[1] الرواية: ص113.

[2] الرواية: ص50.

[3] الرواية: ص130.

على شجاعة مفيد وعلى اعتزازه بنفسه، ومساعدة الآخرين ولم يكن يملك شيئا دليل على كرمه، ويخبرنا وقدّم لنا هذا المقطع في أسلوب خبري يحمل صفات مفيد «كريما» ومتواضعا.

كما نلمس في هذه الرواية نوعا من الشعور بالحب والعطف والحنان العائلي الذي يعيشه هو وزوجته لبيبة التي كان يحبّها لأنّها ساعدته على تجاوز الصعاب والتجاوز الماضي.

كان حضن العائلة يوحي له بالأريحية والطمأنينة ويبعث فيه طاقة إيجابية للعمل والنشاط «هدوء الليل، والقهوة بعد العرق والحديث العائلي بين زوج وزوجة يعطي سعادة خاصة، لها طعم خاص، طعم أن هناك إلى جانبي، من يحبّني، ومن أحبّه، دون طمع دون أنانية، دون حساب للكلمات، وما وراءها، وماذا تظهر، وماذا تخفي، وما يترتّب عليها. إني بعد كل ما جرى، بحاجة إلى حديث من هذا النوع، حديث صريح، من القلب وشعور مريح، بأنني لست وحدي وأن هناك إنسان إلى جانبي، يشاركني حياتي يقاسمني حلوها ومرّها».[1]

اكتشف مفيد أن الدفء العائلي مهم جدا في حياته ويشعره بالراحة والطمأنينة وخاصة مع حبيبته لبيبة وهذا ما يربط صفة التعايش والإنسانية التي نلمسها من خلال العنوان.

وظّف الكاتب أدوات التوكيد مثل أنّ وهذا ليؤكد دور الزوجة والحب في الحياة العائلية وأنّ وجودها ضروري، لاستمرار العائلة وأريحيتها.

ومن بين أهم الصفات التي يرصدها الكاتب لنا في هذه الرواية "نهاية رجل شجاع" إصرار مفيد على تحقيق أهدافه من دون أي قيود واستعمل السارد أدوات التوكيد وأسماء الإشارة حيث قال «نفسك لا تحتاج إلى تعب كبير لقراءتها، أنت دخلت الميناء بقصد أن تكون واحد من شجعانها.

[1] الرواية: ص338.

- بل أشجع شجعانها.
- وهذا الهدف لن يتحقق.
- سأذل وراءه حتى يتحقق.
- اركض وراءه حتى يتحقق.
- سأصطاد الغيم.»[1]

من خلال هذا المقطع يوضح لنا السارد مدى شجاعة هذا الرجل وإصراره على العمل وأن يكون شجاعا مهما تكن هذه الصعوبات التي يواجهها في الميناء وأن يكون واحدا من شجعانها، فالسارد استعمل في هذه المقطوعة ضمائر المتكلم (أنت) واستخدم أيضا الأفعال الماضية "دخلت" فاللغة التي يتحدث بها مفيد لغة سهلة وواضحة لأنه بسيط وفي نفس الوقت شجاع وفحل.

نلمس في هذا النص مدى شجاعة هذا الرجل الفحل مفيد لأنّه يمتاز بالذكاء برغم ما جرى له من تلك العصابة التي حاولت أن تقتله إلا أنه كان صابرا بالرغم من معرفته من الذي أراد قتله. سألته لبيبة ولم يقل وكذلك العمال وبقي ساكتا «تابعت العمل، كنت فعلا لا مباليا، كان عنادي مثل مقاومتي، لا يلين، كنت شديدا على نفسي، وحين أصادف صعوبة ما تزداد هذه الشدّة. اليوم بلغ عنادي أقصاه، بلغت شدّتي على نفسي أقصاها. قررت ألا أتكلم، أن أكتفي بالسمع بالمراقبة، ومعرفة ردّة الفعل عند المعلم البطحيش والعجوز».[2] نستنتج من هذا المقطع أن السارد حاول أن يخبرنا عن مدى شجاعة هذا الرجل وكيفية معرفة عدوّه بالرغم من ذلك ظل يسمع وذلك للوصول إلى الحقيقة. استعمل الكاتب في هذه المقطوعة أسلوبا إخباريا ووظف أخوات كان وأدوات الشرط والأفعال الماضية واستعمل أيضا حروف

[1] الرواية: ص333.

[2] الرواية: ص301.

الجر ليؤكد لنا على فحولة وذكاء مفيد في مواجهة الآخرين وتحليه بالصبر، وإظهار لامبالاتي بما حدث. مفيد يبرهن مرة أخرى عن مواجهة كل الصعوبات التي يواجهها في الميناء.

يصوّر لنا السارد في هذه الرواية حالة مفيد وكيفية تأقلمه مع الأحداث وانفعاله الدائم، فقد قدم لنا هذا في أسلوب بسيط لا يحتاج إلى إعمال الفكر مطولا للفهم، يقوم هذا الأسلوب على الشكل المنطقي للجملة (فعل + فاعل+ لواحق) أو جمل اسمية (مبتدأ وخبر).

وقد حرص الكاتب على توصيل رسالته بأسلوبه الخاص الذي لا يجهد القارئ في تحصيل الدلالة، بمعنى أنّ الكاتب حريص على توصيل رسالته الدلالية وخطابه الروائي كما هو، ولهذا بالجمل قصيرة متتالية متزاحمة.

وببساطة لغة الكاتب نلمس بساطة الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها بطل الرواية وهي طبقة فقيرة وعاملة وشعبية، وقد قام الكاتب باستعمال أسماء شخصيات ليعبر عن هذا وتتمثل في كل من "عبدوش، حليش...".

وتسيطر على جميع الأحداث المهمة في الرواية سمة الشجاعة والقوة التي يمتاز بها مفيد، وتستمر هذه الشجاعة إلى غاية نهاية تلك الأحداث وتوالي أحداث أخرى، وهذا ما أولناه من عنوان الرواية ولمسناه داخل الرواية. فرغم صعوبة المواقف التي تورط فيها مفيد إلا أنّ صموده وارد حتى النهاية، وصبره وقوته ترجما شجاعته اللامتناهية.

إنّ علاقة العنوان بالنص السردي هي علاقة تفسيرية وإخبارية وإبلاغية، وإيديولوجية، في ذكر دلالة السارد للشخصية والمعبرة عن طرح البطل إشكالية لمنطق الحياة ومواجهته.

ثالثا: الشخصيات

1/ الشخصيات الواردة في الرواية:

تعتبر الشخصية من أهم المقومات الأساسية في الرواية ولا يوجد رواية بدون هذه الشخصيات وهي عنصر مهم ويبين لنا "حسن البحراوي" مدى مساهمته الشخصية البرجوازية في تكوين وتشكيل الرواية: «التحول الاجتماعي إبان الثورة البرجوازية في القرن التاسع عشر، هو الذي أبرز الشخصية الروائية ومنحها وجودها المستقل عن الحدث الذي صار بدوره تابعا لها، ووظيفته امتداد القارئ بمزيد من المعرفة عنها، ويعود ذلك لصعوبة قيمة الفرد في المجتمع».[1]

من خلال بينة البحراوي فيمكن اعتبار الرواية إحدى الوسائل التي يصورها ويجسدها الكاتب، في ملاحظاته ويعبر من خلالها عن إحساسه بواقعه وعن المشاكل وتصوير الواقع.

ورغم محاولات بعض المناهج النقدية تحليل الشخصية الروائية، وتقديم مفاهيم عديدة لها تبقى مجرد مفاهيم يصعب تداركها. ونجد عبد المالك مرتاض يتساءل حول إشكالية الشخصية: «ما بال آلاف الروايات التي كتبت في القرون الأخيرة بينما لا يتحدث الناقد إلا عن زهاء عشر روايات من جميع القارات؟ هذه هي المشكلة الأدبية فهي تجسد في هذا أساسا وليس في بناء الشخصية أو في رسم أو عدم رسم ملامحها، أو في اعتبارها شخصا مصغرا، أو مجرد كائن ورقيا مشيّأ، أو إعطائها رقما أو حرفا أو في تشيئتها أو حيويتها أو في عدم الاعتراف بوجودها على وجه الإطلاق».[2]

---

[1] حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2009، ص208.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998، ص70.

من خلال التساؤلات التي طرحها عبد المالك مرتاض نتوصل إلى أن للشخصية هيئات ترد علسها أصناء التمثيل والعرض وخاصة عندما تتقمص دورها سواء في الرواية والقصة، في أي عمل أدبي كان. وأن الشخصية عنصر مهم ومحوري في كل سرد «من ثمّ كان التشخيص محور التجربة الروائية».[1]

من خلال هذا القول نستنتج أن الشخصية هي القلب النابض الذي يبنى عليها العمل الروائي، وهناك شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية كل واحدة منها لها دور تقوم به، فالشخصية الرئيسية تساهم في تمثيل دور رئيسي في الأحداث «فهي التي تقود الفعل وتدفعه على الأمام، وليس من الأمر الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل الفعل دائما، ولكنها هي الشخصية المحورية، وقد تكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية»[2]. ومن بين أهم الشخصيات الرئيسية في رواية نهاية رجل شجاع لجنا مينة نذكر:

- مفيد
- عبدوش
- لبيبة
- حليش

أما الشخصيات الثانوية، التي تكون أقل تعقيدا وعمقا من الشخصيات الرئيسية «والتي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، وتكون إما عوالم كشف عن الشخصية المركزية وتعديل

[1] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمان، الرباط، 2010، ص39.

[2] صبيحة عودة زعرب، غسان الكنفاوي، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص139.

لسلوكها وإما تبع لها تدور في فلكها، وتنطلق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها».[1]

- عبود
- الريّس بكري
- والديه (أمه وأبوه)
- الزقلوط
- إبراهيم الشنكل
- عبد الجليل
- الأستاذ ماهر

ويتميز حنا مينه بالواقعية وحتى في أسماء الشخصيات تظهر هذه الميزة لكل شخصية اسمها ودورها التي تؤديه.

-**مفيد الوحش:** نلاحظ هنا نوع من السخرية والاحتقار لأنه لم يكن مفيد بمعنى ذلك الاسم الذي سماه مفيد نافع وهذا راجع إلى الظروف التي عاشها في طفولته البائسة وتسميته بالوحش بسبب شكله فشكله يظهر في صورة ضخم وطويل أما أعماله كانت عنيفة «قطعت بسكين حادّة... ذنب حمار أحد الجيران».[2]

-**لبيبة:** فهي التي ساعدت مفيد على نسيان الماضي وهي ذكية جعلت مفيد العنيف والقاسي الضخم يقع في حبها دليل على أن عنصر المرأة له دور فعال في المجتمع ويجعله يكون واعيا بنفسه.

[1] المرجع نفسه، ص132.

[2] الرواية: ص7.

-**عبد الجليل:** من أسماء الجلالة حيث أن محاولته لمساعدة مفيد كانت مميزة فهو أعطاه ما لم يأخذه من خارج السجن، كان عبد الجليل من «جماعة الشنكل وكان طيّبا خلوقا ومحسوبا من السجناء السياسيين مثلنا وسرعان ما ارتبطت معه بصداقة متينة، فراح يساعدني، يرشدني يفسر لي الكلمات التي لا أفهمها، ولا أستطيع حل لغزها وحدي».[1] كان عبد الجليل المرشد الرئيسي لمفيد وقد ساعده على التعرف على الحياة بشكل واضح ودائما ينصحه بأن يتخلى عن عصبيته ويتحلى بالصبر، ويسعى إلى التفكير بالحياة وقد قدم عبد الجليل لمفيد كل شيء، حتى والده لم يقدر مفيد كما قدره عبد الجليل، علمه معنى التمسك بالحياة والتضحية من أجل الوطن، وأن يكون واعيا بنفسه وبمجتمعه ويدافع عنه فهو رجل سياسي لأنه يحب وطنه.

-**الأستاذ ماهر:** كان رمزا للقوة والمهارة عكس الأستاذ شعبان الذي كان مفيد يكرهه. فعندما كان في السجن تولى ماهر تعليم مفيد القراءة والكتابة وكان مفيد يحبه لأنه وجد فيه الأمان وكان يعطيه قيمة وهذا ما جعله متعلقا به حيث قال «قضيت ما تبقى من محكوميّتي بالاجتهاد، بقيت على علاقة طيبة بعبد الجليل والأستاذ. كنت في كل يوم، أسمع كلاما جديدا، وأكتشف أشياء جديدة».[2] من خلال هذا المقطع تظهر لنا العلاقة التي تربط مفيد بالأستاذ وهي علاقة طيبة مليئة بالصدق.

2/ تقديم الشخصية الرئيسية "مفيد":

مفيد هو بطل رواية "نهاية رجل شجاع" للكاتب حنا مينه وهي الشخصية النامية في الرواية وتتطور أحداث الرواية وفق سلوكاته وحياته، وقد اختار الكاتب اسم بطل الرواية "مفيد" الذي يحمل دلالة إيجابية توحي بشخصية صالحة وهادفة في المجتمع، وتعكس

[1] الرواية: ص77.

[2] الرواية: ص90.

تصرفاته غير أن هناك نوع من التناقض مع المعنى الحقيقي للاسم، وهذا ما يعترف به مفيد نتيجة سلوكاته السيئة «اسمي مفيد، وأريد أن أكون مفيدا، لكنني لا أستطيع، أو لا أعرف»[1]، وفي هذا المقطع اعتراف لمفيد ووعي منه للتناقض الموجود بين ما يدله اسمه وبين ما يقوم به من سلوكات ضارة في المجتمع رغم تلك الطيبة الرقيقة والبراءة التي يحملها في داخله ولا يمكنه إخراجها إلى الواقع.

ونتيجة لسلوكاته السيئة لقب بالوحش، إضافة إلى قوته البدنية وشكله العملاق الذي يتعدى عمره. فقد كان طفلا صغيرا ولكنّ تصرفاته كانت تعبّر دائما عن حالة رفض وتحدي للواقع، وهذا بداية من قطعه لذيل الحمار.

كانت نظرة مفيد إلى المحيط الذي ينتمي إليه عبارة عن نظرة مادية مضطربة، حيث كان إنسانا منعزلا وغريبا في تصرفاته ومقهور من طرف مجتمعه الذي لم يكن يفهمه ويستوعب أفكاره «لأنهم لا يفهمون كما أفهم... عيونهم مغمضة

- أغمض عينيك أنت الآخر... تظاهر كأنك لا ترى شيئا».[2]

فمفيد شخصية تعبّر بصدق عن آراءها وتصوراتها وكل حادثة تجعله يعي تصرفاته من حوله، وينتمي مفيد إلى طبقة اجتماعية بسيطة شعبية ترجمت انتماؤه وطريقة تصوره وقد أثرت هذه الطبقة في تفكيره وبعثت فيه نوعا من التساؤل اتجاه أمور الحياة «لماذا ينشأ سوء التفاهم بين البشر بسبب تافه؟ لو أنهم ترووا قليلا، وحاول كل طرف أن يتفهم وجهة نظر الطرف الآخر، لعاش الناس في محبة ووئام»[3]. ومن خلال هذا المقطع يتضح وعي الشخصية الرئيسية بالطبقة التي يعيش فيها ومحاولته تجاوزها، أو بالأحرى الرفض الذي

[1] الرواية: ص18.

[2] الرواية: ص19.

[3] الرواية: ص37.

يواجهه نحو أمور الحياة فنظرته هي خلاف ما يراه مجتمعه، «إنني كبرت وإنني بلغت وأصبحت قادرا على التمييز، وأن من حقي، بعد اليوم، أن أتصرف وفق ما أراه صوابا وأن أسأل نفسي، قبل الإقدام على أي عمل: هل هذا خير أم شر؟ لكن الغريب، أن ما كنت أراه خيرا، لم يكن يراه الآخرون كذلك».[1]

وهنا تبدأ حياة مفيد المتمردة والتشرد والخروج عن أساس بناء المجتمع والحياة الأسرية إلى بطش الواقع واختلاف التصور الذي نماه في فكره تجاه الطبقة التي يعيش فيها.

لم يحتمل مفيد قريته ومعاملة ناسها له، رغم بساطتها ففضل الهروب منها إيمانا منه بعدم قدرته على طاعتهم والسير على منطقهم، فاختار الهروب ولكن ليس إلى حياة أفضل ومليئة بالرفاهية، بل كانت الصعاب التي واجهته أكبر، غير أن تعامله مع المشاكل والصعاب دال على وعيه وشجاعته دائما.

من خلال تتبع أحداث الرواية تظهر شخصية "مفيد" الواضحة الشريفة النبيلة، محدودة المعالم والأهداف بحيث كان هدفه الهروب من وضعه الصعب في القرية والبحث عن لقمة عيشه لوحده وكسب قوت يومه دون أذية من حوله والتعدي عليهم رغم قوّته وصلابة جسمه، وعقله الفارغ أحيانا وكثرة انفعالاته.

وقد كانت علاقة مفيد بمن حوله تمتاز بالتوافق أحيانا مثل علاقته الطيبة بأمه بداية ثم صداقته بإبراهيم الشنكل وتوافقه معه، والذي كان قريبا إلى قلبه وحتى إلى طبقته «رجل بسيط، فقير يبيع الخضار على عربة يدفعها أمامه، ويرهقه دفعها حينما يصادف مرتفعا من الأرض والدرب...».[2]

[1] الراوية، ص39.

[2] الرواية: ص43.

فقد وصف مفيد إبراهيم بنفس الصفات التي يمتاز بها ويعبّر عنه بكل عفوية وتوافق مع حالته وهو واع بغاية إبراهيم في الحياة وكذا تعكس تلك الغاية هدفه هو أيضا ويسعى إليه رغم صعوبة الحياة.

كما نلمس موافقة شخصية مفيد مع عبدوش الخباز الذي لجأ إليه مفيد بحثا عن العمل وهو من نفس طبقة مفيد وكانا على اتفاق دائم وكان عبدوش متفهما جدا لمفيد وهذا ربما لانتمائهما لنفس الطبقة الاجتماعية وعيشهما لنفس الظروف القاهرة في الحياة «وقد كان عبدوش الذي يلقبونه في ضيعتنا بالداسر، لأنه يتيم ولا بيت له ولا أسرة، شبيهي من نواح كثيرة، ولعله ذاق مرارة البطالة والجوع»[1]. وهنا يعبر السارد عن توافق شخصية مفيد مع أحد شخصيات الرواية وهي "عبدوش" الذي هو من نفس مستواه الطبقي وقد صوّر لنا الوعي الذي نتج عنهما وهذا سبب انتمائهما لنفس المستوى.

تعرف مفيد على لبيبة وهي المرأة الوحيدة المذكورة داخل الرواية والتي عاش مفيد معها قصة حب رغم شخصية مفيد العصبية والمضطربة إلا أنه استطاع تذوق هذا الحب رغم الظروف المكركبة وهو فار من الشرطة «أحسست فقط أنني معجب بلبيبة بدوري، ومع الأيام انقلب الإعجاب إلى حب، إلى حب جارف، تبادلناه معا».[2]

وهنا تظهر عفوية مفيد وصدق أحاسيسه، وبما أنّ هناك توافق لشخصية مفيد مع بعض شخصيات الرواية، إلا أنّ هناك علاقات متوترة مع شخصيات أخرى ونلمس حدوث صدام دائم معها وهذا لاختلاف الرؤى والغايات فيما بينها، وهذا ما نلاحظ منذ بداية الرواية وتعارضه مع أبيه ودوام الصراعات فيما بينهما «رفض والدي أن ينظر إليّ، اعتبر فعلي جريمة، قضية

[1] الرواية: ص50.

[2] الرواية: ص71.

تمسّ شرف العائلة، وهكذا تركني في أرضي وانصرف».[1] بحيث كان الصراع دائم بين الأب ومفيد وكان مفيد على يقين أنّ أباه لم يكن مستعدا للسماح له مهما حصل، وأنّ عقاب المختار وأهل القرية له كانت إهانة له أثرت على نفسيته وطريقة تفكيره وكذا على سلوكه المتمرد، فكانت هذه القضية عبارة عن البذرة الأولى المغروسة في قلب وعقل مفيد ونمت مع مرور الزمن والأحداث وأثرت على طريقة عيشه ووعيه للأمور، وقدم السارد أفكاره بلغة وصفية وبسيطة.

دفع مفيد ثمن قطعه لذيل الحمار غاليا وكلفه ذلك خروجه من المنزل ومزاولة حياته في الخارج بدون عائلة جعلت منه إنسانا منفعلا مندفعا لا يتماسك أعصابه ذو نفسية مضطربة ولكن ذا قلب حساس حنون ولكن حنيته تختفي خلف خشونة تصرفاته.

يواصل مفيد صراعاته المختلفة في الحياة وتناقضاته مع شخصيات الرواية، فنجده قد تسبب في شجار مع رجال الشرطة في أحد المقاهي وكان هذا انفعالا منه وحبا لأبناء وطنه ووطنه ولكنه لم يكن يعي ذلك في ذلك الوقت إلا بعد فراره وتذكره لكلام إبراهيم الشنكل عن الروح الوطنية والحماسة، وهنا بدأ وعي مفيد حول الوطن والسياسة والوطنية بنضج «عرفت معنى كلام إبراهيم الشنكل عن مقاومة المحتلين، الروح الوطنية، الحماسة، الاندفاع، التضامن، الحقد في العيون والأفواه والأيدي».[2]

رغم شخصية مفيد المضطربة والمنفعلة إلا أنّ عند دخوله إلى السجن امتاز بطيبة متزايدة وعقل كبير وموافقة لجميع السجناء وكسب احترامهم وكان يجالس عبد الجليل والأستاذ اللذان كانا معه في نفس القادوس وعلّماه معنى السياسية والتحدي والوطنية وقدما له مجموعة من النصائح التي نمت وعيه وغيّرت رؤيته للأمور فلم يكن يعرف شيئا عن الاستعمار

[1] الرواية: ص13.

[2] الرواية: ص70.

والنظرة السياسية للأمور وبدأ يتساءل عن كل هذا «وماذا يكتبون في الجرائد الوطنية؟»[1]، رغم غفلة مفيد عن الأمور السياسية ومناحي الحياة الأخرى إلاّ أنّ عبد الجليل كان له العون والموجه الأساسي والسبب في استقامة مفيد وإيقاظ وعيه، فأصبح عارفا بالطبقة السياسية وواعيا بما يدور في الوطن والمجتمع.

بعد خروج مفيد من السجن ذهب للعمل في المرفأ مع الريّس بكري كان متفانيا في عمله وصادقا معه، فكانا على تمام الموافقة والرواء، ظهر عبدوش في حياة مفيد من جديد ولكن هذه المرة اصطحب معه حليش وهو رجل مغرور حاقد وسارق ولكن مفيد تفطن لهذا من الوهلة الأولى «ضحكت أي شغل هذا؟ سرقات صغيرة، خدمات صغيرة، التقاط أي شيء تطاله اليد، تحشيش»[2]، هنا نلمس نضوج فكر مفيد ووعيه بهذه الفئة من المجتمع وغايتها السيئة فكان متناقضا معه في الرأي والتفكير حتى الهيئة، إذ أن نية حليش كانت السرقة في المرفأ وكسب المال بسرعة إلاّ أن مفيد رفض ذلك في البداية، ولكن وافق على سرقة أحد المواعين وذلك بوضع شروط على مزاجه هو وهذا ما يدل على انتقال وعي مفيد من طبقة إلى طبقة أخرى يودّ أن يكون مسيطرا مستحوذا على الأوامر «سأكون مسؤولا عنها، وسيكون الغنم لنا نحن الثلاثة، والغرم عليّ وحدي»[3]. استعمل السارد لغة دقيقة توحي إلى أهم وأدق التفاصيل وبالغ في استعمال أسلوب الاستفهام ليدل على محاولة إنماء وعيه.

وهذا يمثل وعي مفيد المنتمي إلى مرحلة أخرى يودّ فيها ممارسة السيطرة والقوة على الآخرين، وقد فعل ذلك حقا وكان يمارس قوته على حليش وعبدوش، وكان مسيطرا عليهما بفضل قوته وحنكته ووعيه بالمكان الذي يعيش فيه والذي لا يرحم ومن الضروري معاملة

[1] الرواية: ص88.

[2] الرواية: ص95.

[3] الرواية: ص 99.

الآخرين بهذا الأسلوب كي لا يحتقروه ويدوسوه «قلت لعبدوش بصوت حازم، كي يسمع حليش ويفهم جيدا ما أقول: – عليك بعد اليوم، أن تتعامل معي بشكل آخر يا عبدوش، أنا من يطاع لا من يطيع».[1]

وهنا يتضح أن شخصية مفيد كانت متوافقة مع الشخصيات الأخرى وهذا يعود إلى توافق غاياتها معه وكذا نشوئها من طبقة اجتماعية واحدة وكذا الظروف المحيطة بها هي نفسها، كما أن هناك صراع وتداخل مع الشخصيات الأخرى وهذا لعدم توافق تفكير مفيد معها وكذا يعود إلى الوعي الذي ترسم لدى مفيد إزاء أمور الحياة وكان مؤثرا فيه.

وقد قدم لنا الشارد شخصية مفيد كمنظور عاكس لتصرفاته ولديه تصور مخالف عن الآخرين لمختلف نواحي الحياة، بحيث عاش حياة بائسة وحالة فقر وعوز لاحقاه مدى حياته مما رسم فيه شخصية مضطربة وله نظرة مغايرة للعالم.

وقد كان مفيد الشخصية الناطقة في الرواية وكان هو المتحدث عن نفسه وحياته وكذا هو المتحدث عن اللقاءات والحوارات التي تجمعه بالآخرين وقد استعمل ضمير المتكلم للتعبير عن نفسه وكان أحيانا لديه رؤية من الخلف «في قلب هذا الجحيم كنا ننذر أنفسنا للتوبة، من العاصفة تعلمت التوبة والصلاة والاستغفار وطلب الرحمة، العاصفة تعرف كذبي».[2]

وفي بعض الأحيان يستعمل الرؤية ويتماشى مع الأحداث في نفس الوقت ولا يختفي وراءها.

[1] الرواية: ص118.

[2] الرواية: ص105.

وقد ميّز أسلوب السارد من بداية الرواية إلى آخرها مجموعة من الحوارات تمثلت في الكلام الذي يجري بينه وبين الشخصيات «قلت متجاهلا: – أي معركة هذه؟ معركة الطعام».[1]

كما نجد هناك حوارات داخلية لشخصية مفيد أين كان يحاور نفسه ويتساءل عن أمور عدّة «عدت أتساءل: «عم يتحدثان؟» وقلت في نفسي: «عبد الجليل يستفسر من الأستاذ عن أخبار الدنيا»»[2]، فهذه الحوارات كانت تجسد وتبين بوضوح وعي مفيد للأشياء وكذا محاولة فهمه لما يجري في الطبقات الأخرى مثل الطبقة السياسية.

3/ علاقة شخصية مفيد بالأحداث والمكان والزمان:

أ/ الحدث:

وهو فعل الشخصية وحركتها داخل القصة، وهو يرتبط بوشائح قوية مع بقية الأدوات الفنية الأخرى، ولاسيما الشخصية والحدث داخل العمل القصصي لا يطابق الحدث في مواقف الحياة والحدث في الرواية هو العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها، فالسارد يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني ما يجعل من الحدث الروائي شيئا مميزا مختلفا عن الواقع في عالم الواقع، وهذه مقاطع تبين بعض الأحداث في الرواية: «في أحد أيام الصيف كان عمري 12 عاما، قطعت بسكين حادة كنت أحملها دائما، ذنب حمار أحد الجيران في ضيعتي الخراب انتقاما من صاحبه الذي شكاني إلى والدي».[3]

[1] الرواية: ص59.

[2] الرواية: ص83.

[3] الرواية: ص7.

نستنتج من خلال هذا المقطع أن الأحداث بدأت تتطور وهذا بسبب الأعمال الدنيئة التي يقوم بها مفيد فقام والده بضربه وطرد من المدرسة وسافر وترك بلدته وواجه أيضا مشاكل داخل السجن، فعاش حياة بائسة مليئة بالصراعات.

ب/ المكان:

نجد في الرواية ذكرا لمجموعة من الأماكن المغلقة وهي كثيرة وكذا الأماكن المفتوحة.

-الأماكن المغلقة: تدور أحداث الرواية داخل مجموعة من الأماكن قام السارد بذكرها منها المدرسة وهي أكثر مكان يكره مفيد لأنه يكره الدراسة بسبب كرهه لأستاذه ويروي السارد مجموعة من الحوارات تحمل معاملة الأستاذ لمفيد وعدم توافقهما معا وشدة الصراعات بينهما، وهذا يعكس رفض مفيد للطبقة العليا منه التي يمثلها الأستاذ ووعيه المنقطع لاحتقارها له.

كما نجد السجن الذي يعبّر عن المكان المغلف الآخر والذي يمثل منعرجا أساسيا في حياة مفيد وفيه تعلّم معنى السياسة والصراعات المختلفة والاختلاف الطبقي في المجتمع.

وكذا ذكر بيت إبراهيم الشنكل ووصفه بالحامي له والآمن وهذا كونه كان هاربا فوجده كملجأ له، ودلالة البيت هو الألفة والشعور الآمن لمفيد وكان مكانا محتضنا لمفيد ولو لليلة واحدة وفيه أنست مفيد إلى مجموعة من النصائح والتوجيهات من طرف إبراهيم الشنكل.

كما نجد الحقول والمزارع وهي المكان الذي كان مفيد فارا إليها ويتجول فيها في فترة هروبه وكان يقتات منها وينام فيها وفضلها على العيش في بيتهم وتحمل قساوة الظروف ولم يتحمل قساوة معاملة أبيه ففضل قساوة الطبيعة على قساوة البشر.

وتجري معظم أحداث الرواية في البحر وعلى المرفأ أين كان مفيد يعمل وينام فيه فالبحر دلالة خاصة في حياة مفيد فهو المتنفس الوحيد الذي يلجا إليه وهو المكان الذي

يريحه في ضغوطات الحياة «جلست على الشاطئ الرملي، مسندا ظهري إلى فلوكة ملقاة على البّر».[1]

وإلى جانب البحر هناك المقهى التي يسهر فيها مفيد مع صاحبه عبدوش وفيها يقومان بتبادل أطراف الحوار والسهر، كما أنهما يسهران أحيانا في خمارة ويحتسيان المشروب. هي أماكن شعبية تدل على شعبيتهما وانتمائهما إلى الطبقة الوسطى الشعبية.

ونجد هناك أماكن مفتوحة وهي المدن الكبرى المذكورة في الرواية وتتمثل في كل من بانياس واللاذقية والمدينة وهي الأماكن الوحيدة التي تجري فيها كل أحداث الرواية وهي دالة على الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها مفيد وفقره وعدم قدرته على كثرة السفر بل كلن يعيش في أماكن محددة منغلقة.

[1] الرواية: ص47.

ج/ الزمن:

يعتبر الزمن مجرد حقيقة لا تظهر إلاّ من خلال مفعولها على الشخصيات فنلاحظ في رواية "نهاية رجل شجاع" أن الزمن الذي استعمله السارد هو الحاضر أين كان يروي الأحداث الواقعة حاليا دون الرجوع إلى الماضي أو التنبؤ بالمستقبل.

حيث قال: «في أحد أيام الصيف... قطعت بسكين حادة كنت أحملها دائما، ذنب حمار أحد الجيران في ضيعتي الخراب».[1] من خلال هذا المقطع نستنتج أن السارد استخدم زمن الصيف فقد كانت بداية أحداث الرواية في فترة الصيف.

ثم انقل السارد إلى سرد أهم الأحداث التي وقعت لمفيد في فترة الليل «سهرنا طويلا، إلى بعد منتصف الليل».[2]

«في رحلات الصيد ولياليه المظلمة، أو المقمرة، كان الحديث يطيب».[3]

«الليلة هي ليلة الجد، كانت الظلمة حالكة».[4]

«هذا الذي جرى بين يوم وليلة».[5]

وهذا ما يوضح أنّ مجموعة من الأحداث المهمة في حياة مفيد كانت تجري ليلا وهذا دال على صعوبة حياته، وتعكس شخصية ونفسية مفيد المنغلقة والمنعزلة عن المجتمع وتحفظه بأعماله وعدم إفساحها للآخرين.

---

[1] الروا ية: ص7.

[2] الرواية: ص46.

[3] الرواية: ص92.

[4] الرواية: ص 109.

[5] الرواية: ص276.

خاتمة

إن أهم حوصلة يمكن استخلاصها من تحليل الوعي الطبقي في رواية نهاية رجل شجاع ل "حنا مينه "تتمثل في النقاط التالية:

1- اختلف مفهوم الوعي باختلاف وجهات النظر عند النقاد و الفلاسفة، و كل يعرفه حسب منظوره، سواء من الناحية الاجتماعية، أو النفسية، أو الفلسفية.
2- ارتبط مفهوم الوعي بالتنوع الطبقي في المجتمع فمنها الطبقة البرجوازية ومنها البروليتاريا، فكل طبقة تؤثر في تشكيل الوعي لدى الإنسان.
3- تتحدد و تتشكل الطبقات الاجتماعية وفق عوامل سياسية و اقتصادية و تاريخية تساهم كل منها في توفير الظروف المناسبة لتشكيل هذه الطبقات.
4- جاءت رواية نهاية رجل شجاع لحنا مينه كأنموذجا لدراسة الوعي في الطبقة الاجتماعية و الذي جسدته الشخصية الرئيسية ' مفيد '.
5- إن الوعي المجسد في الرواية هو وعي شخصية مفيد، الشخصية الرئيسية.
6- تعتبر رواية حنا مينه روية اجتماعية تعبر عن واقع و حياة و تجربة مفيد وصعوبات التي لقاها في حياته، و التي كانت سبب في توجيه وعيه.
7- للوصول إلى تقديم الشخصية الطبقية، و حضورها السردي اعتمد السارد منا مينه لغة سردية تتطابق مع وعي الشخصية، من حيث الأداء اللغوي و السردي، فجاءت الجمل السردية حاملة للمفهوم و نوازع الشخصية، و ذلك من خلال إبراز مواقفها و تطلعاتها، و تناقضاتها، و نزاعاتها المختلفة.

فاللغة الساردة التي تشكلت في متن الرواية كانت دليلا من جهة التعبير و الوصف والتشبيه الواقعي، فقد لاحظنا انعكاسا و تمثلا اجتماعيا و نفسيا، لظلال الشخصية في منطوقها اللغوي و أفعالها الاجتماعية، فاللغة الاجتماعية و السردية عبرت أحسن تعبير عن جماليات السردية.

قائمة المصادر و المراجع

1. المصادر:

1-ابن منظور، لسان العرب، مجلد 15، دار الكتب العلمية، ط 1، لبنان، 2003.

2-أحمد جاريد الفنان، المعجم الموحد للمصطلحات الأداب المعاصرة مكتب التنسيق و التغريب، د ط، الرباط، 2015.

3-جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، ج1، من (ط) إلى (ي)، دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.

4-حنا مينا، رواية نهاية رجل شجاع، دار الآداب، د ط، بيروت، دس.

2. المراجع المترجمة:

1-بان بياركوت، جان بيار موني، من أجل علم اجتماع سياسي تر محمد منادا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

2-جورج لوكانش، تاريخ الوعي الطبقي، تر حنا الشاعر، دار الأندلس، ط2، لبنان، 1982.

3-جورج لوكانش، الرواية كملحمة برجوازية، تر، جورج طرابشي، دار الحداثة، ط1، بيروت، 1979.

4-جورج لوكانش، نظرية الرواية و تطورها، ترا تقديم نزيه الشوقي، دط، دس.

5-دافيد لودج، الفن الروائي، ترا ماهر البطوطي، المجلس الأعلى لثقافة، ط1، القاهرة، 2002.

6-روجرب هينكل، تر دكتور صلاح رزق، قراءة الرواية، مدخل إلى تقنيات التفسير، دار الغريب، دط، القاهرة، 2009.

7- راما سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر و تقديم جابر عصفور، ط1، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1991.

8-روبرت صمفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، تر محمود الربيعي، دط، دار الغريب، مصر، 2000.

9-هربرت ماكيوز، العقل و الثورة، هيجل و نشأة النظية الاجتماعية، تر فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة لتأليف و النشر، دط، 1970.

3. المراجع :

1-احمد سيد محمد، الرواية الانسانية،المؤسسة الوطنية للكتاب ،د.ط، الجزائر,1989.

2-احمد ابراهيم الهواري،نقد الرواية في الادب العربي ،عين للدراسات و البحوث الانسانية و الاجتماعية، د.ط،الكويت,2003.

3-امام عبد الفاح امام،الفلسفة السياسية عند هيجل،دار التنوير،د.ط،بيروت،2007.

4-باتول قاسم ناصر،القانون المطلق،دار الفرابي،د.ط،بيروت،2011.

5-بيار لاروك،الطبقات الاجتماعية،منشورات عويدات،ط1،لبنان،1973.

6-بول طبر،الطبقات الاجتماعية و السلطة السياسية في لبنان،دار الساقي،د.ط،بيروت،دس.

7-خليل حسين،فلسفة و الفكر السياسي في العصور القديمة و الوسطى،منشورات حلبي الحقوقية،دط،لبنان،2011.

8-جون سكوت،علم الاجتماع المفاهيم،دار الشبكة الفرنسية،ط1،لبنان،دس.

9-جان بيار كوت،جان بيار موني،من اجل علم اجتماع سياسي،ترا محمد،ديوان المطبوعات الجامعية ،دط،الجزائر،1985.

10- سجموند فرويد، مدخل إلى التحليل النفسي، دار الشبكة الفرنسية، ط1، لبنان، دس.

11- سعيد علوش، الرواية و الإيديولوجيا، دار الكلمة للنشر، دك، د ب، 1981.

12- صبيحة عودة زغرب، فسان الكنفاوي، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، للنشر و التوزيع، ط1، عمان، دس.

13- صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع، دار الفكر المعرفة، ط1، مصر، 1996.

14- صفاء عبد السلام جعفر، الذات الحقيقية عند كارل ياسبرز، دار الوفاء، دط، مصر، 2001.

15- عبد مالك مرتاض، النظيرة الرواية في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الأداب العالم المعرفة، دط، كويت، 1998.

16- عبد الملك، أشبهون، العنوان في الرواية العربية، النايا، محاكاة للدراسات، والنشر و التوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2001.

17- عبد الحميد لطفي، علم الاجتماع، دار النهضة العربية، د ط، لبنان، د س.

18- عدنان علي شريم، الأدب في الرواية القاهرة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 208.

19- عبد الوهاب شعلال، المنهج الاجتماعي، من السلطة الإيديولوجية إلى فضاء النص، عالم كتب الحديث، ط1، الأردن، 2008.

20- عطية مسوح، الماركسية و أسئلة العصر، دار الينابيع، ط1، دمشق، 1999.

21- عمر صالح بن عمر، مفهوم الوعي و التوعية و أهميته، منشورات، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، دس.

22- الطيب بوعزة، الإنسان بوصفه حيوانا، دط، الجزيرة نت السعودية، 2016.

23- فريال حسن خليفة، نقد فلسفة هيجل، دار قباء للطباعة، دط، القاهرة، 1998.

24- فيصل دراج، نظرية الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، 2002.

25- ماركس انجلس، بيان الحزب الشيوعي، دار التقدم، دط، موسكو، دس.

26- محمد كامل الخطيب، الرواية و الواقع، دار الحداثة للطباعة و النشر، ط1، لبنان، 1981.

27- محمود عودة، تاريخ علم الاجتماع، دار النهضة العربية، ط1، لبنان، دس.

28- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمان، دط، الرباط، 2010.

الفهرس

مقدمة ---------- 2

الفصل الاول الوعي الطبقي و الرواية

اولا مفهوم الوعي ---------- 7

1/لغة----------7

2/اصطلاحا ----------7

3/الوعي فلسفيا ----------8

4/الوعي نفسيا----------11

5/الوعي اجتماعيا ----------15

ثانيا الوعي و الطبقة ---------- 17

1/مفهوم الطبقة ----------18

2/الدلالة الاجتماعية للطبقة ----------19

3/الدلالة السياسية للطبقة ----------25

4/الدلالة التارخية للطبقة----------30

5/حضور الوعي الطبقي في الرواية ----------34

الفصل الثاني دلالات الوعي الطبقي و تجلياته في متن رواية "نهاية رجل شجاع"

اولا ملخص رواية "نهاية رجل شجاع" ---------- 44

ثانيا قراءة في العنوان ---------- 48

1/مفهوم العنوان ----------48

2/تحليل العنوان ----------49

ثالثا دراسة الشخصيات ---------- 59

1/الشخصيات الواردة في الرواية ----------59

2/تقديم الشخصية الرئيسية "مفيد"----------62

3/علاقة شخصية "مفيد" بالأحداث و المكان و الزمان----------69

خاتمة---------- 74

قائمة المصادر و المراجع---------- 76

الفهرس---------- 81